الدَّارُ الآخِرَةُ

(٣٢)

الجَنَّةُ فَوَائِدٌ وأَحْكَامٌ

للشيخ / ندا أبو أحمد

الدَّارُ الآخِرَة

الجَنَّة فَوَائدٌ وأَحْكَامٌ

M

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . . . .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء: ١]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا { ٧٠ } يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ وخير الهدي هدي محمد r وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

١- الجَنَّة والنـار مخلوقتـان:

اتَّفق أهل السُّنَّة والجماعة على أن الجَنَّة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن.

- ***يقول الطحاوي r كما في "العقيدة الطحاوية":*** "والجَنَّة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجَنَّة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً".

- ***وقال ابن أبي العز الحنفي في "شرح كلام الطحاوي":***

"وأما قوله: "والجَنَّة والنار مخلوقتان" فاتفق أهل السُّنَّة على أن الجَنَّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السُّنَّة هلى ذلك؛ حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: "بل ينشئهما الله يوم القيامة"، وكلامهم مردود بالكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأُمَّة".

- **أما الأدلة القرآنية والتي تدل على أن الجَنَّة والنار مخلوقتان موجودتان الآن**

قوله تعالى عن الجَنَّة: { أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران: ١٣٣]، **وقوله:** { أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } : يعني هيئت

وقال تعالى: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى { ١٣ } عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى { ١٤ } عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } [النجم:١٣– ١٥]

- **وقد رأى النبي r سدرة المنتهى ورأى عندها جَنَّة المأوى.**

كما في "الصحيحين" من حديث أنس t في قصة الإسراء، وفي آخره:

"ثم انطلق بي جبريل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجَنَّة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك".

- ***وفي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمر k أن رسول الله r قال:***

"إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجَنَّة فمن أهل الجَنَّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة"

- ***وأخرج ابن حبان في "صحيحه" أن النبي r قال:***

"إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يُولُّون عنه، فإن كان مؤمناً..."

ثم ذكر الحديث وفيه: **"... ثم يفتح له باب من أبواب الجَنَّة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعدَّ الله لك فيها، فيزداد غبطةً وسروراً، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعدَّ الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه..."** الحديث.

- وفي "صحيح مسلم" عن عائشة i قالت:

"خسفت الشمس على عهد رسول الله r ..." فذكرتْ الحديث وفيه: "...وقال رسول الله r: رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجَنَّة حين رأيتموني جعلت أُقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت".

- وفي "الصحيحين" واللفظ للبخاري، عن عبد الله بن عباس k قال:

"انخسفت الشمس على عهد رسول الله r ..." فذكر الحديث وفيه: "... فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تَكَعْكَعْتَ؟ (١) فقال: إني رأيت الجَنَّة، فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع منها، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم، يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط".

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث بريدة t قال:

"أصبح رسول الله r فدعا بلالاً، فقال: يا بلالُ بم سبقتني إلى الجَنَّة؟ ما دخلتُ الجَنَّة قطّ إلا سمعتُ خشختك أمامي، إني دخلت البارحة الجَنَّة فسمعت خشخشتك فأتيت على قصر من ذهب مرتفع مُشرَّف، فقلت: لمَن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب؟ قلت: أنا عربي، لمَن هذا القصر؟ قالوا: لرجلٍ من المسلمين من أُمَّةِ محمد، قلت: فأنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب..." الحديث.

- وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن عائشة i أن رسول الله r قال:

"دخلتُ الجَنَّة فسمعتُ قراءة، فقلت: مَن هذا؟ فقيل: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله r: كذاكم البرّ كذاكم البرّ"

- زاد عبد الرزاق: "وكان حارثة أبرّ الناسِ بأُمِّه". (صحيح الجامع: ٣٣٧١)

- وأخرج البخاري من حديث عمران بن حصين أن النبي r قال:

"اطَّلعت في الجَنَّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء"

(١) تَكَعْكَعْتَ: أي تأخرت.

- ***وأخرج الإمام مسلم عن أنس t قال: قال رسول الله r :***

"والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت؛ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجَنَّة والنار".

- ***وفي "الموطأ والسنن" من حديث كعب بن مالك t قال: قال رسول الله r :***

"إنما نسمة المؤمن طيرٌ تعلق في شجر الجَنَّة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة".

وهذا صريح في دخول الروح الجَنَّة قبل يوم القيامة.

- ***وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال:***

"لما خلق الله الجَنَّة والنار، أرسل جبرائيل إلى الجَنَّة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأُمر بالجَنَّة فحفَّت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأُمر بها فحفَّت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها". (شرح الطحاوية:٤٧٦ -٤٧٨)

ونظائر ذلك في السُّنَّة كثيرة.

- ***وقد عقد البخاري في "صحيحه" باباً قال فيه:*** "باب ما جاء في صفة الجَنَّة، وأنها مخلوقة، وساق في هذا الباب أحاديث كثيرة تدل على أن الجَنَّة مخلوقة، منها الحديث الذي ينص على أن الله يُرِي الميت عندما يوضع في قبره مقعده من الجَنَّة والنار، وحديث اطلاع الرسول r على الجَنَّة والنار، وحديث رؤية الرسول r لقصر عمر بن الخطاب في الجَنَّة، وغير ذلك من الأحاديث.

- ***وقد كان ابن حجر r مصيباً عندما قال: "وأصرح مما ذكره البخاري في ذلك ما أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة t عن النبي r قال:***

"لما خلق الله الجَنَّة، قال لجبريل: اذهب فانظر إليها" (فتح الباري: ٦/٣٢٠)

- **شبهة مَن قال**: "الجَنَّة لم تخلق بعد"

قالوا: "إن الجَنَّة لم تخلق بعد، ولو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل مَن فيها ويموت؛ **لقوله تعالى:** {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص:٨٨]

وقالوا: "ويدل على هذا أيضاً ما ثبت في "سنن الترمذي" عن عبد الله بن مسعود t قال: قال رسول الله r: "لقيت إبراهيم ليلة أُسْرِي بى، فقال: يا محمد، أقرئ أُمَّتِك مني السلام، وأخبرهم أن الجَنَّة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غرسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".

- وأخرج الترمذي كذلك عن جابر t عن النبي r قال:

"مَن قال: سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرِست له نخلة في الجَنَّة".

فقالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغرس معنى.

وكذلك قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: {رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التحريم: ١١]

- وأجاب عن هذه الشبهة ابن أبي العز في "شرحه للطحاوية" فقال:

"إنكم إن أردتم بقولكم: "إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يردّه ما تقدَّم من الأدلة وأمثالها مما لم يذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعدَّ الله فيها لأهلها، وإنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث فيها عند دخولهم أموراً أخر؛ فهذا حق لا يمكن ردّه، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص:٨٨]، فأُتِيتُم من سوء فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجَنَّة والنار الآن – نظير احتجاج إخوانكم على فنائهما وخرابهما وموت أهلها!! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام، فمن كلامهم: "أن المراد {كُلُّ شَيْءٍ} ممَّا كتب الله عليه الفناء والهلاك؛ هالك، والجَنَّة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء وكذلك العرش، فإنه سقف الجَنَّة.

وقيل: "المراد إلا مُلْكَه، ***وقيل:*** "إلا ما أُرِيد به وجهه"، وقيل: إن الله تعالى أنزل: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن:٢٦]. فقالت الملائكة: "هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء، فأخبر تعالى عن أهل السمَّاء والأرض أنهم يموتون فقال: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص:٨٨]؛ لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت. وإنما قالوا ذلك: توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، والدالة على بقاء الجَنَّة وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يُذْكَر عن قريب، إن شاء الله تعالى. **(شرح الطحاوية:٤٧٩)**

٢- مكـان الجَـنَّـة:

الجَنَّة فوق السماء السابعة، وتحت عرش الرحمن

- **أما كونها فوق السماء السابعة**

فدلَّ على ذلك القرآن الكريم، **حيث قال رب العالمين:** { عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى { ١٤ } عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى }

[النجم:١٤-١٥]

- وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة

كما جاء في حديث الإسراء المشهور والذي أخرجه الإمام مسلم وفيه:

"... ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومَن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا؛ فإذا أنا بإبراهيم u مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشى؛ تغيَّرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة..."

فهذا الحديث يدل على أن سدرة المنتهى بعد السماء السابعة، وبما أن الجَنَّة عندها؛ إذن فهي فوق السماء السابعة.

- **أما كون الجَنَّة تحت عرش الرحمن**

فقد دلَّت على ذلك السُّنَّة النبوية

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال:

"مَن آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان؛ كان حقاً على الله أن يدخله الجَنَّة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله، أفلا نبشر الناس بذلك، فقال: إن في الجَنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجَنَّة وأعلى الجَنَّة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّرُ أنهار الجَنَّة "

فأعلى درجات الجَنَّة هي الفردوس - كما في الحديث - وفوقها عرش الرحمن؛ إذن فالجَنَّة تحت عرشه سبحانه.

(اليوم الآخر، د/ المطيري: ص٤١٠)

- ولعظم سعة الجَنَّة وغاية ارتفاعها؛ يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً، درجة فوق درجة، ***كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو*** k ***أن النبي*** r ***قال:*** "يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارقَ، ورتِّل كما كنت تُرَتِّل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها " (صحيح الجامع:٨١٢٢)

- ***وفي رواية عند الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري*** t ***قال: قال رسول الله*** r : "يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجَنَّة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويعد لكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء منه" (صحيح الجامع: ٨١٢١)

٣- خلود الجَنَّة وأهلها:

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن الجَنَّة خالدة لا تفنى ولا تبيد، وأهلها من المؤمنين هم فيها خالدون

- ***يقول ابن حزم في كتابه "الملل والنحل" (٤/٨٣):***

"اتفقت فرق الأُمَّة كلها – يقصد أهل السُّنَّة – على أن لا فناء للجَنَّة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها

والأدلة على خلود الجَنَّة كثيرة منها:-

الأدلة القرآنية والتي تدل على خلود أهل الجَنَّة، وهذا يستلزم خلود الجَنَّة

قال تعالى: { لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ } [الحجر:٤٨]،

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً { ١٠٧ } خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً } [الكهف:١٠٧- ١٠٨]

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً } [النساء:٥٧]

وقال تعالى: { عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ } (١) [هود:١٠٨]

(١) عطاء غير مجذوذ: أي مقطوع.

- **قال الإمام ابن كثير r في "تفسيره":**

"**يقول تعالى:** { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا } وهم أتباع الرسل، { فَفِي الْجَنَّةِ } أي: فمأواهم الجَنَّة، { خَالِدِينَ فِيهَا } أي: ماكثين مقيمين فيها أبداً، { مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ } معنى الاستثناء هاهنا: أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم، ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فله المنة عليهم [دائماً]، ولهذا يُلهمون التسبيح والتحميد كما يُلهمون النَّفَس.

وقال الضحاك، والحسن البصري: "هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار، ثم أخرجوا منها"، **وعقَّب ذلك بقوله:** { عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود:١٠٨] أي: غير مقطوع (قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية وغير واحد)؛ لئلا يتوهَّم متوهِّم بعد ذكره المشيئة أن ثم انقطاعاً، أو لبساً، أو شيئاً، بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع، كما بيَّن هنا أن عذاب أهل النار في النار دائماً مردود إلى مشيئته، وأنه بعدله وحكمته عذبهم؛ **ولهذا قال:** { إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ } [هود:١٠٧]، **كما قال:** { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء: ٢٣]، وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله: { عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود:١٠٨] يا أهل الجَنَّة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت" انتهى.

- **وقد أكَّد الله l خلود أهل الجَنَّة بالتأبيد، فقال تعالى:**

{ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا } [الرعد:٣٥]

- **قال الإمام ابن كثير r في "تفسيره":**

"**وقوله:** { أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا } [الرعد:٣٥]، أي: فيها المطاعم والفواكه والمشارب، لا انقطاع لها ولا فناء.

وقال تعالى: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً } [النساء:١٢٢]

وهناك من الأدلة القرآنية الكثيرة، والتي تدل على أن الله تعالى نفى عن أهل الجَنَّة الخروج منها والموت فيها تأكيداً لمعنى أبدية الخلود.

قال تعالى: { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } [الدخان:٥٦]

- **قال الإمام ابن كثير r في تفسيره:**

"**وقوله:** { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى } [الدخان:٥٦]، هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً، ***كما ثبت في "الصحيحين" أن رسول الله r قال:*** **"يؤتي بالموت في صورة كبش أملح، فيوقف بين الجَنَّة والنار ثم يذبح، ثم يقال: يا أهل الجَنَّة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت** " اهـ

- **شبهة والرد عليها:**

ذهب أبو الهذيل العلاف شيخ المتعزلة: إلى الإقرار بخلود الجَنَّة، لكن قال بفناء حركات أهلها، يعني هم في سكون دائم لا يقدرون على الحركة، ***بينما قال بفناء الجَنَّة الجهم بن صفوان إمام المعطلة*** ولعل ما استند عليه، **هو قوله تعالى:** { وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ . . . } [هود:١٠٨]

وقد ردَّ على هذه الشبهة ابن أبي العز الحنفي r "شارح الطحاوية" حيث قال:

"واختلف السلف في هذا الاستثناء: فقيل: "معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمَن دخل منهم إلى النار ثم أُخْرِج منها، لا لكلهم، فتكون معنى الآية "وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجَنَّة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، إلا الفريق الذي شاء الله تأخيره، وهم عصاة الموحدين، فإنهم يبقون في النار فترة من الزمن، ثم يخرجون منها إلى الجَنَّة بمشيئة الله ورحمته، ويعطي ربك هؤلاء السعداء في الجَنَّة عطاء غير مقطوع منهم"، ***وقيل:*** "إلا مدة مقامهم في الموقف"، ***وقيل:*** "إلا مدة مقامهم في القبور والموقف"، ***وقيل:*** هو استثناء الرب ولا يفعله، ***كما تقول:*** "والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه"، ***وقيل:*** "إلا" بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف وسيبويه يجعل "إلا" بمعنى "لكن"، فيكون الاستثناء منقطعاً، ***ورجحه ابن جرير وقال:***

"إن الله تعالى لا خلف لوعده، ***وقد وصل الاستثناء بقوله:*** { عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود:١٠٨]، ***قالوا:***

"ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت، أي سوى ما شئت، ولكن ما شئت من الزيادة عليه، ***وقيل:*** "الاستثناء لإعلامهم بأنهم- مع خلودهم- في مشيئة الله؛ لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، **كما في قوله تعالى:** { وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً } [الإسراء:٨٦]، **وقوله تعالى:** { فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ } [الشورى:٢٤]، **وقوله:** { قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ } [يونس:١٦]، ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ***وقيل:*** "إن "ما" بمعنى "من"، أي: إلا مَن شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء... وقيل غير ذلك. وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه،

وقوله: { عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ } [هود:١٠٨] ، **وكذلك قوله تعالى:** { إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ } [ص:٥٤]، **وقوله:** { أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا } [الرعد:٣٥]، وقد أكَّد الله خلود أهل الجَنَّة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى } [الدخان:٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء **في قوله تعالى:** { إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ } [هود:١٠٨]، تبيَّن أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجَنَّة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها" اهـ (شرح الطحاوية: ص٤٨١ بتصرف)

يقول ابن القيم r :

هذا وخاتمة النعيم خلودهم ... أبداً بـدار الخلـدِ والرضوانِ
أو ما سمعت منادي الإيمان ... يخبر عن مناديهم بحسن بيانِ
لـكـم حـيـاة مـا بـهـا موتٌ ... وعافية بلا سقم ولا أحـزانِ
ولـكـم نـعـيـم مـا به بـؤسٌ ... وما لشبابكم هرم مدى الأزمانِ
كلا ولا نوم هنـاك يـكـون ... ذا نوم ومـوت بيننا أخـوانِ
هـذا علمناه اضطـراراً من ... كتاب الله فاقهم مقتضى القرآنِ
والجهمُ أفناها وأفنى أهلها ... تبـاً لـذاك الجـاهـلِ الفـتـانِ
طرداً لنفي دوامِ فعل الـربِّ ... في الماضي وفي مستقبل الأزمانِ
وأبو الهذيل يقول يفنى كلُّ ... ما فيها من الحركـات للسكَّانِ
وتصيرُ دارُ الخلد مع سكانها ... وثـمـارهـا كحجـارة البنيـانِ

- **أما الأدلة من السُّنَّة على خلود النَّار وأهلها**

١ - ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r :

"يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجَنَّة والنار فيقال: يا أهل الجَنَّة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيُؤمَر به فيذبح. قال: ثم قال: يا أهل الجَنَّة، خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله r : { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [مريم:٣٩]

٢ - وعند البخاري من حديث ابن عمر k قال: قال رسول الله r :

"إذا صار أهل الجَنَّة في الجَنَّة، وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يُجعَل بين الجَنَّة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجَنَّة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجَنَّة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم".

٣ - وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري t عن النبي r قال:

"إذا كان يوم القيامة أتي بالموت كالكبش الأملح، فيوقف بين الجَنَّة والنار، فيذبح وهم ينظرون، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجَنَّة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار"

٤ - وفي "الصحيحين" من حديث ابن عمر k قال: قال رسول الله r :

"يدخل الله أهل الجَنَّة الجَنَّة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذنٌ بينهم، فيقول: يا أهل الجَنَّة لا موت، ويا أهل النار لا موت. كل خالد فيما هو فيه"

- وفي رواية: "يقال: يا أهل الجَنَّة خلود لا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لا موت"

٥ - وأخرج الإمام مسلم عند أبي سعيد وأبي هريرة k عن النبي r قال:

"ينادي مناد (يعني على أهل الجَنَّة) أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تشبوا لا تهرموا أبداً، وأن لكم أن تنعموا ولا تبأسوا أبداً، فذلك قوله تعالى: { وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣ } [الأعراف:٤٣]"

٦ - وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة t عن النبي r قال:

"مَن يدخل الجَنَّة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه"

تنبيه مهم:

الخلود في الجَنَّة أو في النار بالنِّيَّات

- يقول الحسن البصرى r : "إنما خلد أهل الجَنَّة في الجَنَّة، وأهل النار في النار بالنيات".
(الإحياء: ٣١٧/٤)

- فقد يقول قائل: "**لِمَ يعذب اللّه الكافر بالخلود في النار مدداً لا نهاية لها، مع أن العدل يقتضي أن يعذبه بمقدار المدة التي كفرها؟ ولِمَ يخلد المؤمن في الجَنَّة، مع أنه لم يؤمن ولم يطع إلا مدة محدودة من الزمان؟ بل قد يُسْلِم الكافر قبل الغرغرة ويدخل الإسلام، ويموت ولم يسجد للّه سجدة واحدة، فيدخل الجَنَّة ويخلد فيها**

والجواب عن هذا: أن المؤمن ينوي أن يطيع الله أبداً؛ فجوزى بالخلود جزاء نيته، والكافر كان عازماً وناوياً الكفر أبداً فجوزي بنيته، ويؤكد هذا قوله تعالى عن هؤلاء الذين يتمنون الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى بعد معاينة العذاب: { وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الأنعام:٢٨]

٤- عدد الجَنَّات:

أما عدد الجنات، فالذي يدل عليه الدليل أنها في الجملة أربع، **وذلك لقوله تعالى:** { وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ } [الرحمن:٦٢]

- ***ولقول النبي r قال:***"جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جَنَّة عدن"

- ***وأخرج الطبري وابن أبي حاتم عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي بكر ابن أبي موسى عن أبيه، قال:*** "جنتان من ذهب للمُقرَّبِين، ومن دونهما جنتان من وَرِق لأصحاب اليمين" (قال حماد: لا أعلمه إلا قد رفعه)

- لكن جاء في بعض الأحاديث تبيِّن أن الجِّنَان كثيرة منها:-

الحديث الذي رواه البخاري عن أنس بن مالك t قال:

"أصيب حارثة يوم بدر، وهو غلام، فجاءت أمُّه إلى النبي r ، فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكُ في الجَنَّة أصبر واحتسب، وإن تكن الأخرى ترَ ما أصنع، فقال: ويحَكِ، أوهَبِلْتِ، أوجنةٌ واحدةٌ هي؟ إنها جنانٌ كثيرة، وإنه لفي جَنَّة الفردوس"

فنرجع عدد الجنات إلى علم الله تعالى، فنقول: "الله أعلم بعددها".

٥- مفتاح الجَنَّة:

جاءت أحاديث لا تخلو من مقال، تدل على أن مفتاح الجَنَّة هو شهادة التوحيد

ومن هذه الأحاديث ما رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل t قال: قال رسول الله r :

"مفتاح الجَنَّة شهادة أن لا إله إلا الله" (ضعيف)

لأن شهر بن حوشب لم يسمع من معاذ بن جبل حديثاً.

- وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس t قال:

"قال أعرابي: يا رسول الله، ما مفتاح الجَنَّة؟ قال: لا إله إلا الله"(ضعيف جداً)؛لأن أبان متروك.

- وروى البخاري في "صحيحه" معلقاً بصيغة التمريض عن وهب بن منبة أنه قيل له:

"أليس مفتاح الجَنَّة لا إله إلا الله؟ قال: بلي، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح" (ضعيف)

لأن من رجال السَّند عبد الملك بن محمد وفيه كلام، ومحمد بن سعد بن رمانة مجهول، وسعد من رمانة ليس له ترجمة.

- وإن كانت هذه الأحاديث ضعيفة؛ إلا أن المعنى صحيح، فلابد من شهادة التوحيد بشروطها[1] وعمل الصالحات لدخول الجَنَّة.

يقول ابن القيم r :

هذا وفَتْحُ الباب ليس بمُمْكِنٍ ... إلا بمفتاح على أسنانِ
مفتاحُه بشهادة الإخلاصِ والتوحيدِ ... تلك شهادة الايمان
أسنانُه الأعمال وهي شرائعُ ... الإسلام والمفتاح بالأسنان
لا تُلْغِيَن هذا المثال فكم به ... من حل إشكالٍ لذِي العرفان

ويقول ابن القيم أيضا في كتابه "حادي الأرواح"(ص١٠٠):

"وقد جعل الله لكل مطلوب مفتاحاً يفتح له، فجعل مفتاح الصلاة الطهور، ***كما قال*** r :

"**مفتاح الصلاة الطهور**"، ومفتاح الحج الإحرام، ومفتاح البرِّ الصدق، ومفتاح الجَنَّة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة، ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكُّر فيه، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له، والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبُّر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل". اهـ باختصار

- يقول الشيخ حافظ حكمي في "سلم الوصول":

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادرِ ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفَّقك الله لما يحبه

(١) شروط كلمة التوحيد سبعة وهي: العلم المنافي للجهل، اليقين المنافي للشك، القبول المنافي للرد، الانقياد ويتم ذلك بأداء حقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته، الصدق المنافي للنفاق، الإخلاص المناف للشرك، المحبة لهذه الكلمة ولما دلَّت عليه والسرور بذلك بخلاف ما عليه المنافقون.

٦- الجَنَّـة تتـكـلَّم:

فقد أخرج الطبراني والبزار واللفظ له عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r :

"خلق الله - تبارك وتعالى- الجَنَّة لبنةً من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها[١] المسك، وقال لها: تكلَّمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة، طوبى لك منزل الملوك"

(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٥١/٤)

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r :

"تحاجت الجَنَّة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمُتكبِّرين، والمُتَجبِّرين، وقالت الجَنَّة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم[٢] وغرتهم؟[٣] فقال الله U للجنة: إنما أنت رحمتي، أرحمُ بك مَن أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أُعذِّب بكِ مَن أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار، فلا تمتلئ حتى يضع الله قدمه عليها، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ، ويُزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجَنَّة فإن الله ينشئ لها خلقاً"

٧- الجَنَّة لها اشتياق:

أخرج الترمذي والحاكم عن أنس t عن النبي r قال:

"إن الجَنَّة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ، وعمَّار، وسلمان" (صحيح الجامع: ١٥٩٨)

---

(١) الملاط: المادة التي توضع بين اللبنتين.

(٢) السقط: المزدري به، ومنه السَّقط: الردئ المتاع.

(٣) غرتهم: الغرّ الذي لم يجرب الأمور، فهو قليل الشر منقاد.

٨- أشياء نراها في الدنيا وهي في الجَنَّة:

١) الحجر الأسود:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أنس t عن النبي r قال:

"الحجر الأسود من الجَنَّة" (صحيح الجامع: ٣١٧٤)

وأخرج البيهقي عن ابن عمرو k عن النبي r قال:

"لولا ما مسَّ الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسَّهُ ذو عاهةٍ إلا شفي، وما على الأرض شيء من الجَنَّة غيره" (صحيح الجامع: ٥٣٣٤)

وهذا الحديث لا ينفي أن هناك أشياء أخرى من الجَنَّة، **فقد ثبت عن الحبيب النبي أن هناك أشياء من الجَنَّة ومنها:-**

٢) الركن والمقام:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو k أن النبي r قال:

"إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجَنَّة، طمس الله تعالى نورهما ولو لم يطمس نورهما، لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب" (صحيح الجامع: ١٦٣٣)

٣) جبل بُطحان:

فقد أخرج البزار عن عائشة i قالت: قال رسول الله r :

"بُطحان على بركةٍ من بُرَكِ الجَنَّة" (صحيح الجامع: ٢٨٢٧)

٤) قوائم منبر النبي r :

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد والنسائي من حديث أم سلمة i أن النبي r قال:

"قوائم منبري رواتب في الجَنَّة" (صحيح الجامع: ٤٤١٢)

٩- علم الله تعالى بأهل الجَنَّة وأهل النار، وكتابة هذا في اللوح المحفوظ:

١ - أخرج الترمذي عن عبد الله بن عمر k قال:

"خرج علينا رسول الله r وفي يده كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ فقلنا: لا يا رسول الله إلّا أن تخبرنا، فقال للذى في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجَنَّة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أُجمل على آخرهم [١]، فلا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم أبداً، ثم قال للذى في شماله: هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أُجمل على آخرهم، فلا يزاد منهم، ولا ينقص منهم أبداً، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان الأمر قد فرغ منه؟ فقال: سدِّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجَنَّة يختم له بعمل أهل الجَنَّة، وإن عمل أي عملٍ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثم قال رسول الله r بيديه فنبذهما، ثم قال: فرغ ربكم من العباد، فريق في الجَنَّة، وفريق في السعير" (صحيح الجامع:٨٨)

٢ - وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة i قالت: قال رسول الله r :

"إن الله تعالى خلق الجَنَّة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً".

٣ – وأخرج الإمام مسلم عن عائشة i قالت:

"دُعِيَ رسول الله r إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجَنَّة لم يعلم السوء ولم يدركه، قال: أوغير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم".

٤ - وأخرج البخاري عن عمران بن حصين t قال:

"قال رجل: يا رسول الله، أَيُعْرَف أهل الجَنَّة من أهل النار؟ فقال: نعم، قال: فلم يعملون؟ قال: كلٌّ يعمل لما خُلِقَ له أو يسّر له"

(١) أُجمل على آخرهم: أي جمعوا أهل الجَنَّة وأهل النَّار على آخرهم، وعُقدت جملتهم، فلا يتطرق إليها زيادة أو نقصان.

- وأخرج البخاري ومسلم عن عليٍّ t قال:

"كنا في جنازة في بقيع الفرقد [١] فأتانا رسول الله r ، فقعد وقعدنا حوله ومعه مِخْصَرة [٢] فنكّس [٣] فجعل ينكث بمخصرته [٤]، ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفسٍ منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجَنَّة أو النار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: مَن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومَن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. فقال: اعملوا فكل مُيَسَّر، أما أهل السعادة فيُيَسَّرون لعمل أهل السعادة ،وأما أهل الشقاوة فيُيَسَّرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى { ٥ } وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى { ٦ } فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى { ٧ } وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى { ٨ } وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى { ٩ } فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل: ٥-١٠]"

- وأخرج الإمام مالك والترمذي وأبو داود عن مسلم بن يسار قال:"سُئِل عمر بن الخطاب t عن هذه الآية: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } [الأعراف:١٧٢]، قال عمر: سمعت رسول الله r يُسْأَل عنها، فقال: إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة، ويعمل أهل الجَنَّة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، ويعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله r : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجَنَّة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجَنَّة، فيدخله الله الجَنَّة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار؛ فيدخله الله النار"

- أخرج البزار والطبراني في "الكبير" عن هشام بن حكيم t عن النبي r قال:

"إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم { وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا } [الأعراف:١٧٢]، ثم أفاض بهم [٥] في كفيه، فقال: هؤلاء في الجَنَّة وهؤلاء في النار، فأهل الجَنَّة مُيَسَّرون لعمل أهل الجَنَّة، وأهل النار مُيَسَّرون لعمل أهل النار" (صحيح الجامع:١٧٠٢)

---

(١) بقيع الفرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٢) المخصرة: عصا صغيرة، وسميت بذلك لأنها تحمل تحت الخصر غالباً للاتكاء عليها.

(٣) نكّس رأسه: خفضه.

(٤) فجعل ينكس بمخصرته: أي يخط بمخصرته في التراب.

(٥) أفاض بهم: أي: قلبهم ونثرهم.

- **دفع توهم، ورفع إشكال**:

ربما ينظر البعض للأحاديث السابقة، ويقول: "إن الله تعالى قد كتب على كل نفس مكانها في الجَنَّة والنار، وقد رفعت الأقلام عن هذا، وجفَّت الصحف بهذا، فيقول لنفسه: لِمَ العمل؟ فيتقاعد عن العمل متكلاً عما جرى به القدر.

- ***الرد على هذا الإشكال:***

نقول وبالله التوفيق: "إن الإيمان بالقدر لا يوجب الاتكال وترك العمل، فالذي أمرنا بالإيمان بالقدر هو الذي أمرنا بالأخذ بالأسباب، ***فقال النبي*** r : **"احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا؛ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان".**

- ***وجاء في "سنن الترمذي" عن عمر بن الخطاب*** t ***قال:***

"يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه، أمر مبتدع أو مبتدأ، أو فيما فرغ منه؟ فقال: فيما فرغ منه يا ابن الخطاب، وكلٌّ مُيَسَّر، أما مَن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما مَن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء".

- ***وأخرج الإمام مسلم عن جابر*** t ***قال:***

"جاء سراقة بن مالك بن جُعْشم، فقال: يا رسول الله، بيَّن لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفَّت به الأقلام، وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال: لا. بل فيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير، قال: ففيم العمل؟ فقال: اعملوا فكل مُيَسَّر"

– ***وفي رواية:*** **"كلُّ عامل مُيَسَّر لعمله".**

- ***قال النووي*** r : "وفي هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها، وكلٌّ مُيَسَّر لما خلق له". اهـ

فخلاصة ما سبق في هذه الأحاديث السابقة:

أن النبي r يبيِّن لنا فيها أنه ينبغي علينا أن نعمل ولا نتَّكل عما جرى به القدر، فقال: "اعملوا، فالإنسان منا لا يدري هل هو من أهل السعادة، أم من أهل الشقاء"، وعليه فإنه ينبغي عليه أن يسعى للسعادة والأخذ بأسبابها.

- ويدلك على هذا الأمر الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود t قال: حدَّثنا رسول الله r وهو الصادق المصدوق قال: **"إن أحدكم يُجْمَع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد".**

- وفي رواية عند البخاري من حديث أنس بن مالك t عن النبي r قال:

"وكَّل الله بالرحم ملكاً فيقول: أي رب نطفة، أى رب علقة، أى رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب ذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فكتب كل ذلك في بطن أمه".

فتجد في هذا الحديث أن الرزق قد قُدِّر على الإنسان ومع هذا فهو يسعى إليه، ويأخذ بالأسباب في طلبه، فليس هناك عاقل يقول: "سأجلس في بيتي ويأتيني رزقي، فالله تعالى قد قدَّره عليَّ، فنقول هذا ظن فاسد واعتقاد باطل، فالسماء لا تمطر ذهباً، فعلى الإنسان أن يجدَّ ويجتهد في طلب الرزق ويسعى إليه وكذلك السعادة والشقاء كتبا على الإنسان، ولكن عليه أن يأخذ بالأسباب في تحصيل السعادة والأخذ بأسبابها، وترك ما يؤدي إلى الشقاء.

- **إشكال آخر والرد عليه:**

في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء t عن النبي r قال:

"خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجَنَّة ولا أبالي، وقال للذي في كَفِّه اليسرى: إلى النار ولا أبالي".

- وأخرج الإمام أحمد والحاكم عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله r يقول: **"إن الله U خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، وقال: هؤلاء في الجَنَّة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، قال: فقال قائل: يا رسول الله، فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر".** (صحيح الجامع:١٧٥٨)

- وفي رواية أخرى عند أبي يعلى من حديث أنس t عن النبي r قال:

"إن الله قبض قبضةً، فقال: هذه إلى الجَنَّة برحمتي، وقبض قبضةً، فقال: هذه إلى النار ولا أبالي". (صحيح الجامع: ١٧٨٤)

فظن البعض من خلال قراءته لهذه الأحاديث، أن هذا الأمر تمَّ بلا إحكام أو إتقان، أو جاء مجازفة أو عن طريق الحظ.

وهذا فيه إساءة أدب مع الله، وقدح في أول ركن من أركان الإيمان بالقدر، وهو الإيمان بعلم الله الشامل، وأن الله تعالى محيط بكل شيء، يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم، والممكن والمستحيل، فهو سبحانه عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم، وأحوالهم، ومَن هم أهل السعادة ومَن هم أهل الشقاء، وذلك قبل أن يخلقهم، بل وقبل خلق السماوات والأرض وكل ذلك مقتضى اتصافه بالعلم.

قال تعالى: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ } [الحشر:٢٢]

وقال تعالى: { عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ } [سبأ:٣]

وقال تعالى: { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ } [النجم:٣٢]

وقال تعالى: { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل:١٢٥]، [القلم:٧]

فأهل القبضة التي قال تعالى عنهم: "هؤلاء إلى النار ولا أبالي"، لم يكن هذا إلا عن علم، فالله U علم من حالهم أنهم لم يؤمنوا، **كما قال تعالى عن هؤلاء الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدى:**

{ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ } [الأنفال: ٢٣]

وقال كذلك عن الكفرة الذين عاينوا العذاب فتمنوا الرجوع إلى الدنيا للتوبة وإصلاح الزاد:

{ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ } [الأنعام:٢٨]، فالذي يضله الله ويدخله النار إنما يكون ذلك على علم؛

كما قال تعالى: { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ } [الجاثية:٢٣]

- ***قال ابن القيم*** r : "أضله الله تعالى عالماً به وبأقواله وما يناسبه ويليق به ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبعده، وأنه أهل الضلال وليس أهلاً أن يهدى، وأنه لو هدي لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند مَن لا يستحقه" اهـ

- ***ويقول الشيخ الألباني*** r ***في "سلسلته الصحيحة"(ج١ /٥٠):***

"إن كثيراً من الناس يتوهَّمون أن هذه الأحاديث – ونحوها أحاديث كثيرة – تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية، ما دام أنه حُكم عليه منذ القديم وقبل أن يخلق بالجَنَّة أو النار، وقد يتوهَّم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ، فمَن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومَن كان في القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة، فيجب أن يعلم هؤلاء جميعاً أن الله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى:١١]، لا في ذاته ولا صفاته، فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته، فهو تعالى قبض باليمنى على مَن علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته، وقبض بالأخرى على مَن سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته، ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على مَن هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى، والعكس بالعكس، **كيف والله U يقول:**

{ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ { ٣٥ } مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } [القلم:٣٥-٣٦].

ثم إن كلاً من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابها أن يكونوا من أهل الجَنَّة أو من أهل النار، بل هو حكم من الله - تبارك وتعالى – عليهم، بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجَنَّة، أو كفر يقتضي النار والعياذ بالله تعالى منها، وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان لا يكره الله - تبارك وتعالى – أحداً من خلقه على واحد منهما: { فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ } [الكهف:٢٩]

وهذا مشاهد معلوم بالضرورة، ولولا ذلك لكان الثواب والعقاب عبثاً، والله مُنزَّه من ذلك. اهـ

١٠- أيهما أكثر في الجَنَّة: الرجال أم النساء؟

تخاصم الناس في هذه المسألة في زمن الصحابة

ففي "صحيح مسلم" عن ابن سيرين قال: "اختصم الرجال والنساء: أيهم أكثر في الجَنَّة؟ - **وفي رواية:** "إمّا تفاخروا، وإما تذاكروا: الرجال في الجَنَّة أكثر أم النساء؟ - فسألوا أبا هريرة، فاحتج أبو هريرة على أن النساء في الجَنَّة أكثر بقول الرسول r : "إن أول تدخل الجَنَّة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دُرِّيّ في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجَنَّة أعزب"

(رواه مسلم)

والحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجَنَّة أكثر من الرجال.

لكن هناك مَن يقول: "إن الرجال في الجَنَّة أكثر من النساء، **واحتجَّ بحديث النبي r :**

"رأيتكن أكثر أهل النار"

والجمع بين الحديثين كما قال ابن حجر العسقلاني r في "فتح الباري"(٦/٣٢٥):

"فيكون الجمع بين الحديثين: أن النساء أكثر أهل النار وأكثر أهل الجَنَّة، وبذلك يكنَّ أكثر من الرجال وجوداً في الخلق، **ويمكن أن يقال:** "إن حديث أبي هريرة يدل على أن نوع النساء في الجَنَّة أكثر، سواءً كن من نساء الدنيا أو من الحور العين، والسؤال هو: أيهما أكثر في الجَنَّة: رجال أهل الدنيا أم نساؤها؟ **وقد وفَّق القرطبي بين النصين:** "بأن النساء يكن أكثر أهل النار قبل الشفاعة وخروج عصاة الموحدين من النار، فإذا خرجوا منها بشفاعة الشافعين ورحمة أرحم الراحمين؛ كن أكثر أهل الجَنَّة".

(التذكرة للقرطبي: ص٤٧٥)

- ويدل على قلة النساء في الجَنَّة ما رواه أحمد وأبو يعلى عن عمرو بن العاص t قال:

"بينما نحن مع رسول الله r في هذا الشِّعب إذ قال: انظروا هل ترون شيئاً؟ فقلنا: نري غرباناً فيها غراب أعصم، أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول الله r لا يدخل الجَنَّة من النساء إلا مَن كان مِنهُنَّ مثل هذا الغراب في الغربان" (السلسلة الصحيحة: ١٨٥١)

(الجَنَّة والنار للأشقر: ص١٨٦-١٨٧ "بتصرف)

- **وقفة مع قوله تعالى**: { إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء }

قال تعالى عن نساء أهل الجَنَّة: { إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء } { ٣٥ } فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً { ٣٦ } عُرُباً أَتْرَاباً { ٣٧ } لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ [الواقعة:٣٥-٣٨]

في تفسيرها قولان:

القول الأول: أنها من الحور العين حيث أنشأهن الله وخلقهم خلقا جديداً من غير توالد، ويؤكد هذا القول ما بعده **وهو قوله تعالى**: { فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً } وهذا يقض أنه لم ينكحهن قبلهم آحد، **كما قال تعالى**: { لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ } [الرحمن:٥٦]، وهذا لا ينطبق على نساء أهل الدنيا حيث كان هناك جماع في الدنيا، فيكون المقصود الحور العين اللاتي ينشأهنَّ الله إنشاءً.

القول الثاني: أن المقصود بقوله { إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء } هن النساء الآدميات، حيث يخلقهن الله تعالى غير خلقهن الأول، ويصبحن أبكاراً (وهذا تفسير ابن عباس k)

ويؤيد هذا القول ما أخرجه الترمذي في "الشمائل" والطبري في "الأوسط" بسند صحيح عن عائشة i : **"أن النبي r أتته عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجَنَّة، فقال رسول الله r : يا أم فلان إن الجَنَّة لا تدخلها عجوز، فذهب نبي الله r فصلَّى ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لقد لَقِيَت من كلمتك مشقَّة وشدة، فقال r : إن ذلك كذلك، إن الله تعالى إذا أدخلهن الجَنَّة حوَّلهم أبكاراً"**

(حسنه الألباني في "مختصر الشمائل" برقم: ٢٠٥)

- أمر آخر مختلف فيه، وهو: **أيهما أجمل: نساء الدنيا إذا دخلن الجَنَّة، أم الحور العين؟**

قال القرطبي في "تفسيره"(١٧/ ١٤٣):

"واختلف أيهما أكثر حسناً وأبهر جمالاً: الحور أو الآدميات؟

فقيل: "الحور لما ذكر من وصفهن في القرآن والسُّنَّة ***ولقوله r في دعائه على الميت في الجنازة:*** **"اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسِّع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونَقِّه من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجَنَّة وأَعِذْهُ من عذاب القبر أو من عذاب النار "** (رواه مسلم)

وقيل: الآدميات أفضل من الحور العين...، ***ثم ذكر القرطبي قول حبان بن أبي جبلة:***

"إن نساء الدنيا مَن دخل منهن الجَنَّة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا". اهـ

١١- أطفـــال المؤمنين في الجَنَّة:

أطفال المؤمنين الذين ماتوا ولم يصلوا إلى سن البلوغ، في الجَنَّة بمشيئة الله تعالى،

والأدلة على ذلك كثيرة منها:-

- ما أخرجه البخاري من حديث أنس t قال: قال النبي r :

"ما من مسلمٍ يُتَوَفَّى له ثلاث لم يبلغوا الحنث[1]؛ إلا أدخله الله الجَنَّة بفضل رحمته إياهم"

- وعند البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري t قال:

"إن النساء قلن: غلبنا عليك الرجال يا رسول الله، فاجعل لنا يوماً يا رسول الله نأتيك فيه، فواعدهن ميعاداً فأمرهن ووعظن، وقال: ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: أو اثنان، فإنه مات لي اثنان، فقال رسول الله r : أو اثنان"

ووجه الدلالة في الأحاديث كما قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري"(٣/٢٤٤):

"إن مَن يكون سبباً في حجب النار عن أبويه، أولى بأن يحجب هو؛ لأنه أصل الرحمة وسببها" اهـ

- وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سهل قال:

"سمعتُ ابن عمر k يقول في هذه الآية: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ { ٣٨ } إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ } [المدثر:٣٨-٣٩] قال: أطفال المسلمين".

وثبت هذا أيضاً عن علي بن أبي طالب t كما في "مستدرك الحاكم"، فيكون المعنى: أن أطفال المؤمنين في الجَنَّة؛ لأنهم لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم.

- بل جاءت أحاديث تُصرِّح بأن أطفال المسلمين في الجَنَّة ومنها:-

ما أخرجه الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r :

"ما من مسلمَيْنِ يموت لهما ثلاثة أولاد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجَنَّة، يقال لهم: ادخلوا الجَنَّة، فيقولون: حتى يدخل أبوانا، فيقال: ادخلوا الجَنَّة أنتم وأبواكم" (صحيح الجامع: ٥٧٨٠)

(١) الحنث: الإثم والذنب، والمعنى: أنهم لم يبلغوا من العمر سناً تكتب عليهم فيه الذنوب.

- ***وأخرج الإمام مسلم وأحمد عن أبي حسان خالد بن علان قال:***

"قلت لأبي هريرة t : إنه قد مات لي ابنان فما أنت مُحَدِّثِي عن رسول الله بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، "صغارهم دعاميص[1] الجَنَّة، يتلقَّى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال: بيده - كما آخذ أنا بصنفة ثوبك[2] هذا فلا يتناهى[3] - أو قال: فلا ينتهي - حتى يدخله الله وأباه الجَنَّة".

- ***وأخرج البخاري في "صحيحه" من حديث البراء t قال:***

"لما تُوُفِّيَ إبراهيم، قال رسول الله r : إن له مُرْضِعاً في الجَنَّة"

- ***وأخرج الإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة t أن النبي r قال:***

"ذراري المسلمين في الجَنَّة يكفُلهم إبراهيم u "

- ***وعند الحاكم والديلمي عن أبي هريرة t أن النبي r قال:***

"أطفال المؤمنين في الجَنَّة يكفلهم إبراهيم وسارة، حتى يدفعوهم إلى آبائهم يوم القيامة"

فالراجح أن أطفال المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم في الجَنَّة، وقد نقل الإمام أحمد والشافعي والنووي الإجماع على ذلك. (انظر فتح الباري: ٢٤١/٣، أهوال القبور لابن رجب: ص١٣٢)

• دفع إشكال ودفع توهُّم

توقف بعض أهل العلم: كحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وإسحاق بن راهويه في هذه المسألة.

وذلك للحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن عائشة i قال:

"تُوُفِّيَ صبي، فقلت: طوبى له، عصفور من عصافير الجَنَّة، فقال رسول الله r : أَوَلَا تدرين أن الله خلق الجَنَّة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً، ولهذه أهلاً"

ويجيب عن هذا الإشكال الحافظ ابن حجر r في "فتح الباري" (٢٤٤/٣) حيث قال:

"**والجواب عنه:** أنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل، أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجَنَّة".

وهناك وجه آخر قوي: وهو أنه يشهد لأطفال المؤمنين عموماً أنهم في الجَنَّة، ولا يشهد لآحادهم، كما يشهد للمؤمنين عموماً أنهم في الجَنَّة، ولا يشهد لآحادهم، ***يقول شيخ الإسلام ابن تيمية r كما في "مجموع الفتاوي"(٢٨١/٤)***:"لا يشهد لكل معين من أطفال المؤمنين بأنه في الجَنَّة، وإن شهد لهم مطلقاً"

---

(١) دعاميص: واحدهم "دعموص"، أي صغار أهل الجَنَّة، وأصل الدعموص: دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجَنَّة لا يفارقها، وقيل: "الدعموص" هو الرجل الكثير الدخول على الملوك من غير إذن منهم، لا يخاف حيث دخل في ديارهم لمكانته عندهم، وشبه الطفل به لذهابه في الجَنَّة حيث شاء لا يمنع من قصر منها ولا مكان.

(٢) صنفة ثوبك: أي طرفه، أو حاشيته وطرفه الذي لاهدب له، وقيل: بل هي الناصية ذاب الهدب، ويقال: هي حاشية الثوب أي جانب كان.

(٣) فلا يتناهى: أي لا يتركه.

لكن ما مصير أطفال المشركين الذين ماتوا في الصغر؟

فهذه من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم على أقوال أشهرها:-

١- أنهم في مشيئة الله تعالى وهذا منقول عن الحمادين وابن المبارك وإسحاق

ولعل دليل هذا القول ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس k قال:

"سُئل رسول الله r عن أولاد المشركين، فقال: الله اذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين"

٢- انهم تبع لآبائهم: فأولاد المسلمين في الجَنَّة، وأولاد الكفار في النار

- ففي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة t قال: قال النبي r :

"كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجسِّانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل تري فيها جدعاء"

٣- أنهم يُمتحنون يوم القيامة، وهذا منقول عن أبي الحسن الأشعري، والإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية

يقول شيخ الإسلام r : "والصواب أن يقال فيهم: "الله أعلم بما كانوا عاملين، ولا يحكم لمعين منهم بجنة ولا نار، وقد جاء في عدة أحاديث: "أنهم يوم القيامة يمتحنون في عرصات القيامة يؤمرون وينهون، فمَن أطاع دخل الجَنَّة، ومَن عصى دخل النار". اهـ (مجموع الفتاوي: ٣٧٢/٢٤)

- وقد ذكر الحافظ ابن حجر r في "فتح الباري"(٢٤٦/٣):

"أنهم يمتحنون في الآخرة بأن تُرفع لهم نار، فمَن دخلها كانت برداً وسلاماً، ومن أبى عُذِّب، ***قال:*** "وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون، ومَن في الفترة، ***وقد حكى البيهقي في "كتاب الاعتقاد:*** "أنه المذهب الصحيح"

- وقد ضعف القرطبي r هذا المذهب:

"محتجاً بأن الآخرة دار جزاء لا ابتلاء، فهي دار ثواب وعقاب، وليست بدار تكليف، وكذا قال الحليمي".

- لكن رد شيخ الإسلام r على هذا فقال: "التكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجَنَّة والنار، وأما عرصات القيامة فيُمْتَحَنُون فيها كما يُمْتَحَنُون في البرزخ، فيقال لأحدهم: "مَن ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ **وقال تعالى:** {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [القلم:٤٢] ،

- ***وقد ثبت في "الصحيح" من غير وجه عن النبي r أنه قال:***

"يتجلى الله لعباده في الموقف، إذا قيل ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون، فيتبع المشركون آلهتهم، ويبقى المؤمنون، فيتجلي لهم الرب الحق في غير الصورة التي كانوا يعرفون، فينكرونه، ثم يتجلي لهم في الصورة التي يعرفون، فيسجد له المؤمنون، وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر، فيريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون، وذلك لقوله:

{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ } [القلم:٤٢]" **(مجموع الفتاوي: ٣٧٢/٢٤)**

٤- هناك من أهل العلم مَن توقف في هذه المسألة.

٥- أنهم في الجَنَّة، وهذا قول جمع من أهل العلم، وهو اختيار أبي الفرج الجوزي، والإمام البخاري.

قال النووي r : "وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون، **وهذا هو المذهب الراجح، والدليل على هذا:-**

أ- **قوله تعالى:** **{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً }** [الإسراء:١٥]

فإذا كان الله تعالى لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة؛ فلأن لا يعذب غير العاقل من باب أولى.

ب- وقد رجح البخاري بأنهم في الجَنَّة، ***واستدل بحديث سمرة وفيه:***

"... والشيخ بأصل الشجرة إبراهيم u ، والصبيان حوله، فأولاد الناس - *وفي رواية عند البخاري أيضاً:* "وأما الوالدان الذين حوله - فكل مولودٍ يولد على الفطرة، فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين: فقال: وأولاد المشركين".

جـ- ***قال ابن حجر r في "فتح الباري" (٢٤٦/٣):***

"ويؤيد هذا الرأي ما رواه أبو يعلى من حديث أنس t عن النبي r قال:

"سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم "

وورد تفسير "اللاهين" بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس k مرفوعاً، وقد أخرجه البزار.

د- ***وأخرج الإمام أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت:***

"قلت: يا رسول الله، مَن في الجَنَّة؟ قال: النبي في الجَنَّة، الشهيد في الجَنَّة، والمولود في الجَنَّة"

والمولود هنا عام يشمل كل مولود سواء كان من المسلمين أو من المشركين

هـ- والذي يرجح أن أطفال المشركين في الجَنَّة، ***ما رواه الطبراني في "الأوسط" من حديث أنس t قال: قال رسول الله r :*** **"أطفال المشركين خدم أهل الجَنَّة"**

(صحيح الجامع:١٠٢٤)،(السلسلة الصحيحة:١٤٦٨)

تنبيه:

حاول القرطبي أن يُوفِّق بين النصوص التي يظهر منها التعارض في هذا الشأن، فقال بأن الرسول r قال في أول الأمر: "**هم مع آبائهم** (أي في النار)"، ثم حصل منه توقُّف في ذلك، فقال:

"**الله أعلم بما كانوا عاملين**"، ثم أُوحيَ إليه أنه لا يعذب أحد بذنب غيره، **كما قال تعالى:**

{ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [الإسراء:١٥]، فحكم بأنهم في الجَنَّة.

شبهتان:

الشبهة الأولى: يقولون: "إنه بعد نفخ الروح في الجنين؛ يأتيه ملك ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، فالسعادة والشقاء كتبت على الإنسان وهو في بطن أمه.

والجواب عن هذا: أن مَن مات صغيراً قبل الاكتساب؛ فإنه يكون مكتوباً من السعداء وهو في بطن أمه. والله أعلم.

الشبهة الثانية: يقولون: "إن الخضر قال لموسى u مبرراً قتله للغلام:

{ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا }

وقد ثبت في "صحيح مسلم" عن ابن عباس k قال: قال رسول الله r في الغلام الذي قتله الخضر: "طُبِع يوم طُبِع كافراً، ولو تُرِك لأرهق أبويه طغياناً وكفراً"

- ***قال شيخ الإسلام r مُعَقِّباً على الحديث***: "أي إنه إن عاش كَفَرَ بالفعل"

١٢- دخول عصاة المؤمنين الجَنَّة بعد دخولهم النار:

فربما يدخل بعض المسلمين النار بذنوبهم، ثم بعد ذلك يدخلون الجَنَّة بالشفاعة.

فقد أخرج الإمام مسلم في "صحيحه" عن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r :

"أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم - فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً، أُذِن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر[١]، فبثوا على أنهار الجَنَّة، ثم قيل: يا أهل الجَنَّة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل "

- ***وعند مسلم أيضاً من حديث جابر بن عبد الله k عن رسول الله r قال:***

"إن أقواماً يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم[٢] ، حتى يدخلون الجَنَّة"

(١) ضبائر ضبائر: أي جماعات جماعات.

(٢) دارات وجوههم: ما يحيط بالوجه من جوانبه.

ويخرجون من النار بشفاعة المؤمنين، والنبي الأمين، والملائكة الطيبين، وأيضاً شفاعة رب العالمين.

- **أولاً: شفاعة المؤمنين، فيدل عليها:**

ما أخرجه البخاري ومسلم في حديث عن أبي سعيد الخدري t وفيه أن النبي r قال:

"... ثم يُضرب الجسرُ على جهنم، وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللَّهُمَّ سَلِّم سَلِّم، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دَحضٌ مَزِلَّةٌ، فيه خطاطيف وكلاليب، وحسَكةٌ تكون بِنَجْد، فيها شوَيكةٌ، يقال لها: السَّعدانُ، فيمُرُّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناجٍ مسلَّمٌ، ومخدوشٌ مرسلٌ، ومكدوسٌ في نار جَهَنَّم ، حتى إذا خلصَ المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مناشدة لله في استيفاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم الْقِيَامَة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويُصلُّون، ويحجُّون، فيقال لهم: أَخْرِجُوا مَن عَرَفْتُم، فتحرَّمُ صُوَرُهُم على النار، فيُخْرِجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى رُكْبَتَيْهِ، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممَّن أمرتنا به، فيقول الله U: ارجعوا، فمَن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير – *وفي رواية*: من إيمان[1] - فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقا كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممَّن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمَن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خيرٍ فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها مِمَّن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا، فمَن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأَخْرِجُوه، فيُخْرِجُون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً"

(١) *وقول النبي* r : "مثقال دينار من إيمان"، قال القاضي عياض: "الصحيح أن معناه: شيء زائد على مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح، أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى، أو نية صادقة، ويدل عليه ما جاء في رواية ثانية: "يخرج من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن كذا وكذا..." (انظر "صحيح مسلم بشرح النووي:٣/٣١).

ثانياً: شفاعة النبي r :

أما شفاعة النبي r في أناس حتى يخرجوا من النار ويؤذن لهم في دخول الجَنَّة

فيدل عليها حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس t وفيه:

"...حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي- تبارك وتعالى- فيدعني ما شاء أن يدعني، فَيُقَال: يَا مُحَمَّد، ارْفَعْ رَأسك، قل يُسمَع، وسل تُعْطَهُ، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رَأْسِي؛ فَأحمد رَبِّي- بتحميد يعلمينه رَبِّي U - ثم أشفع فيحد لي حداً؛ فأُدخلهم الجَنَّة، ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي - تبارك وتعالى-، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد! قل يُسمَع، وسل تُعْطَهُ، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حداً، فأدخلهم الجَنَّة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربي، وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد! قل يُسمَع، وسل تُعْطَهُ، واشفع تُشَفَّع، فإذا رفعت رأسي، فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدًّا، فأدخلهم الجَنَّة، ثم أعود الرابعة، فأقول: يا ربِّ! ما بقي إلا من حبسه القرآن، فيُخرجُ من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يُخرجُ من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن بُرَّة، ثم يُخرجُ من النار مَن قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذَرَّةً"

- **ثالثاً: شفاعة الملائكة:**

فيدل عليها قوله تعالى: { وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى } [النجم:٢٦]، فالآية دالة على شفاعة الملائكة، لأنه I إذا أذن للملك، فإنه يشفع

- ويدل على شفاعة الملائكة في خروج أناس من النار

ما رواه ابن أبي عاصم عن أبي بكرة t أن رسول الله r قال: **"يُحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتتقادع بهم جنبتا الصراط[1] تقادع الفراش في النار، فيُنجِّي الله برحمته مَن يشاء، ثم أنه يؤذن في الشفاعة للملائكة والنبيين والشهداء والصديقين فيشفعون، ويُخرِجُون مَن كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان"**

- وقد قال رب العالمين في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري t أن الحبيب r قال: قال الله U: **"شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين..."** الحديث (انظر "سلسلة الدار الآخرة(٢٣) الشفاعة، للمؤلف، على موقع "صيد الفوائد")

(١) جَنَبتا الصراط: جانباه، ناحيتاه: اليمنى واليسرى.

- **رابعاً: شفاعة رب العالمين:**

ويظهر هذا واضحاً جلياً في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري t عن النبي r قال: قال الله U يوم القيامة:

"شفعت الْمَلَائِكَة، وشفع النَّبِيُّونَ، وشفع الْمُؤْمِنُونَ، وَلم يبْق إِلَّا أرْحم الرَّاحِمِينَ، فيقبض قبضة من النار(١)، فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط (٢)، قد عادوا حُمماً(٣)، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجَنَّة(٤) يُقالُ له: نهرُ الحياة، فيخرجون كما تخرُجُ الحبَّة في حميل السَّيل(٥)، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو الشجر، ما يكونُ إلى الشمس أُصَيْفِرُ وأُخَيْضِرُ، وما يكونُ منها إلى الظل يكُونُ أبيض، فيَخرجون كَاللُّؤْلُؤِ، في رقابهم الخواتِمُ (٦)، يعرفُهم أهلُ الجَنَّة: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار(٧)، الذين أدخلهم الجَنَّة بغير عمل عملوه، ولا خير قدَّموه، ثم يقول: ادخلوا الجَنَّة فما رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضلُ من هذا؟ فيقول: رضاي؛ فلا أسخط عليكم بعده أبداً"

وقفة مع قول النبي r في الحديث السابق: "فيقبض قبضة من النار"

ولا يعلم أحد من خلق الله قدر قبضة الخالق I ، **لكن أحب أن أُذَكِّرَ بقوله تعالى:**

{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }

ليتبيَّن لك سعة رحمة الله تعالى بعباده، فكم سيخرج من النار بقبضة العزيز الغفَّار؟ [الزمر:٦٧]

---

(١) أي يجمع جماعة من الخلق.

(٢) *قال القاضي عياض* r :"فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان، وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم، وإنما دلَّت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان؛ وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين – صلوات الله وسلامه عليهم – وتفرَّد الله I بعلم ما تكنه القلوب، والرحمة لمَن ليس عنده إلا مجرد الإيمان.اهـ (انظر "صحيح مسلم بشرح النووي:٣/٣١).

(٣) قد عادوا حُمماً: "عادوا" أي: "صاروا"، وليس بلازم في "عاد" أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك، بل معناه صاروا، أما الحمم: فهو الفحم، واحدته حممة: كحطمة.

(٤) في أفواه الجَنَّة: الأفواه: جمع "فُوَّهة"، وهي الأوائل، *يقال*:"أفواه الأزقة والأنهار يعني أوائلها، *قال صاحب المطالع*: "كأن المراد في الحديث: مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها".

(٥) الحبَّة في حميل السَّيل: "الحبة" مفرد "حب"، وهو: بذور البقل وحب الرياحين، *وقيل*: "هو نبت صغير ينبت في الحشيش"، وحميل السَّيل: هو ما يجيء به السيل من طين أوغثاء... وغيره، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل؛ فإنما تنبت في يوم وليلة، فشبَّه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

(٦) فيَخرجون كاللُّؤلؤ في رقابهم الخواتِمُ: الخواتم جمع: "خاتم"، بفتح التاء وكسرها، *قال صاحب التحرير*: "المراد بالخواتم هنا: أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم، علامة يعرفون بها، قال: "معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ".

(٧) هؤلاء عُتقاءُ الله من النار: أي يقولون: هؤلاء عُتقاءُ الله من النار.

تنبيهان:

١ - إذا دخل المؤمنون النار بذنوبهم؛ فإن النار لا تأكل موضع السجود.

ففي حديث طويل أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة t عن النبي r أنه قال:

"حَتَّى إِذا فرغ الله من الْقَضَاء بَين الْعباد، وَأَرَادَ أَن يخرج برحمته مَن أَرَادَ من أهل النار؛ أَمر الْمَلَائِكَة أَن يُخرِجُوا من النَّار مَن كَانَ لَا يُشْرك بِاللَّه شَيْئاً، مِمَّن أَرَادَ الله U أَن يرحمه مِمَّن يَقُول: لَا إِلَه إِلَّا الله فيعرفونهم فِي النَّار، يعرفونهم بأثر السجود، تَأْكُل النَّار من ابْن آدم إِلَّا أثر السُّجُود، حرَّم الله على النَّار أَن تَأْكُل أثر السُّجُود، فَيخْرجُونَ من النَّار وقد امتحشوا(١)"

٢ - هؤلاء الذين يخرجون من النار ويدخلون الجَنَّة يسميهم أهل الجَنَّة بالجهنميين

- *ففي "صحيح البخاري" عن عمران بن حصين k عن النبي r قال:*

"يخرج قومٌ من النار بشفاعة محمد r ، فيدخلون الجَنَّة، يُسمون الجهنميون"

- *وروي البخاري عن أنس بن مالك t عن النبي r قال:*

"يخرج قومٌ من النار بعدما مسَّهم منها سفع، فيدخلون الجَنَّة، فيسميهم أهل الجَنَّة: الجهنميين "

- *وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس عن حذيفة k عن النبي r قال:*

"ليخرجن الله من النار قوماً منتنين قد محشتهم النار، فيدخلون الجَنَّة بشفاعة الشافعين، يسمون فيها الجهنميون"

(١) امتحشوا: يعني احترقوا.

١٣- وقفة مع حثيات الرب - تبارك وتعالى - الذين يدخلهم الجَنَّة بغير حساب:

جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي أمامة t أن النبي r قال: "وعدني ربي أن يدخل الجَنَّة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً[١]، وثلاث حثيات[٢] من حثيات ربي"

مسألة: ما حكم أن يحثو الإنسان بيده وهو يذكر ذلك الحديث؟

الجواب: أن ذلك يتوقف - والله أعلم - على حال مَن يخاطبهم الإنسان، فإن خشي عليهم أن يقع في قلوبهم شيء من تشبيه الله بخلقه، والعياذ بالله، فإنه لا يفعل ذلك، أما إن لم يُخشَ منهم ذلك، وأراد أن يبين لهم معنى الحثية، فحثا بيده لكي يعلموها فلا بأس إن شاء الله .

- وقد ثبت في "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن عمر أنه r قال:

"يأخذ الله U سماواته وأرضه بيديه، فيقول: أنا الله، أنا الملك، أنا الملك"

وأنه r : "كان يقبض أصابعه ويبسطها وهو يروي قول ربه I "،

- وفي "سنن أبي داود" من حديث أبي هريرة t قال: "رأيت رسول الله قرأ هذه الآية:

{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا . . . } إلى قوله: { . . . سَمِيعاً بَصِيراً } [النساء:٥٨]، قال: رأيت رسول الله يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينيه"

ولم يكن ذلك منه r تشبيهاً، ولا تمثيلاً، وإنما هو زيادة بيان وإيضاح، لعلمه r أن أصحابه لا يفهمون من فعله أن قَبْضَ الله السموات والأرض كقبض الإنسان للأشياء بيده، ولا أن سَمَعَ الله وبصره كسمعنا وبصرنا، أما إن كان فعل ذلك يترتب عليه فهمٌ خاطئ لصفات المولى U فإن علينا أن لا نفعل ذلك.

- وبنحو ما قلناه قال الشيخ ابن عثيمين r في "شرحه على كتاب التوحيد" المسمي بـ"المجموع المفيد" حيث ذكر: "أن ذلك يختلف بحسب ما يترتب عليه، فإن كان السامع لن يتقبل ذهنه ذلك إلا بأن يشعر بالتمثيل؛ فينبغي أن نكف عن تلك الإشارة أمامه؛ لأن تلك الإشارة ليست بواجبة حتى نقول: "إنه يجب علينا أن نُبلِّغ كما بلَّغ الرسول بالقول والفعل، أما إذا كنا نتكلَّم مع طلبة علم أو مع إنسان مكابر ينفي هذا، ويريد أن يُحوِّل المعنى إلى غير الحقيقة؛ فحينئذ نفعل كما فعل الرسول r . هذا والله تعالى أعلم. (هدي النبي المختار في وصف الجَنَّة والنار: ص١٠٠-١٠١) بتصرف

---

(١) حثيات: جمع "حثية" وهي الغرفة بالكف، يقال: حثا، يحثو، ويحثي.

(٢) "مع كل ألف سبعون ألفاً: أي الذين لا يحاسبون من أمته، مع كل ألف منهم سبعون ألفاً... كم سيكون المجموع؟ أربعة ملايين وتسعمائة ألف غير الحثيات.

١٤- الجَنَّة يبقى فيها فضل، فينشئ الله لها خلقاً فيدخلهم فيها:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك t عن النبي r قال:

"لا تزال جهنم يُلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، بعزَّتك وكرمك، ولا يزال في الجَنَّة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجَنَّة "

تنبيه مهم:

وقع في بعض ألفاظ البخاري: **"وإنه ينشئ للنار مَن يشاء، فيُلقى فيها، فتقول: هل من مزيد"، - *وفي رواية:*** **"وإنه ينشئ للنار مَن يشاء فيُلقون فيها"**

وهذا غلط من أحد الرواة، ***فبدلاً من أن يقول:*** **"وإنه ينشئ للجنة"**، ***قال:*** **"وإنه ينشئ للنار"**

- قال الحافظ r في "الفتح"(١٣/ ٤٤٦): "قال أبو الحسن القابس:

"المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقاً، وأما النار فيضع فيها قدمه، قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقاً إلا هذا" اهـ

- ولهذا جزم ابن القيم r في "حادي الأرواح" (ص٣٦٩):

"بأن هذا غلط من الراوي، وصوابه: **"فينشئ للجنة"**. اهـ

- كما جاء في لفظ مسلم: **"يبقى في الجَنَّة ما شاء الله أن يبقى؛ ثم ينشئ الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجَنَّة"**

أضف إلى هذا أن لفظ: **"ينشئ للنار مَن يشاء فيلقون فيها"** فيه اتهام لله تعالى بالظلم، والله تعالى منزَّه عن هذا، وكذلك هذا اللفظ مخالف لما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ لأن الله تعالى لا يعذب إلا مَن قامت عليه الحجة، **قال تعالى:** {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ {٨} قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ {٩} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك:٨-١٠]

١٥- مَن مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجَنَّة:

فقد أخرج النسائي وابن ماجه عن ابن عمرو k عن النبي r قال:

"إن الرجل إذا مات بغير مولده، قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجَنَّة"

(صحيح الجامع: ١٦١٦)

١٦- أهل الجَنَّة يرون مقاعدهم قبل الدخول فيها، وذلك بعد الموت:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر k أن رسول الله r قال:

"إن أحدكم إذا مات، عُرِضَ عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجَنَّة فمن أهل الجَنَّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة"

- وأخرج ابن ماجه بسند حسن عن أبي هريرة t عن النبي r قال:

"إن الميت يصيرُ إلى القبر، فيجلس الرجلُ الصالح في قبره غير فزعٍ ولا مشغوفٍ، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت على الإسلام، فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله r، جاءنا بالبينات من عند الله فصدَّقناه، فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قِبلَ النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له قِبلَ الجَنَّة. فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك، ويقال: على اليقين كنتَ، وعليه مت، وعليه تُبعَث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشغوفاً، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فيفرج له قِبلَ الجَنَّة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صَرَفَه الله عنك، ثم يفرج له فرجة قِبلَ النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنتَ، وعليه مت، وعليه تُبْعَث إن شاء الله تعالى".

١٧- أهل الجَنَّة يرثون أهل النار:

لكلِّ واحدٍ من بني آدم منزلان، منزل في الجَنَّة، ومنزل في النار، فمَن دخل النار؛ ترك منزله في الجَنَّة لأهل الجَنَّة يرثوه من بعده.

فقد أخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r :

"ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان: منزل في الجَنَّة ومنزل في النار؛ فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجَنَّة منزله، فذلك قوله تعالى: { أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ { ١٠ } الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [المؤمنون:١٠-١١]"

- نقل ابن كثير r في تفسير هذه الآية: عن مجاهد r أنه قال:

"ما من عبدٍ إلا وله منزلان: منزل في الجَنَّة، ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجَنَّة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجَنَّة، ويبني بيته الذي في النار"، وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم خُلِقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به ممَّا خلقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم U، بل أبلغ من هذا أيضاً، **وهو ما ثبت في "صحيح مسلم" عن أبي موسى t عن النبي r قال:** "يجيء ناسٌ يوم القيامة من المسلمين بذنوب أمثال الجبال؛ فيغفرها الله لهم، ويضعها على اليهود والنصاري"

وفي لفظ له: قال رسول الله r :

"إذا كان يوم القيامة؛ دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقال: هذا فكاكُك من النار"..

وهذا الحديث **كقوله تعالى:** { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الزخرف:٧٢]، فهم يرثون نصيب الكفار في الجنان".اهـ

(تفسير ابن كثير: ٦٨٥/٢) بتصرف واختصار

١٨- الشفاعة في دخول الجَنَّة:

فالمؤمنون يوم القيامة عندما يؤذن لهم بدخول الجَنَّة؛ فإنهم يطلبون من الأنبياء أن يستفتحوا لهم باب الجَنَّة، لكن الكل يقول: "لست بصاحب ذلك"، حتى يأتون النبي r ؛ فيؤذن له في أن يفتح لهم باب الجَنَّة.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r :

"يجمع الله الناس[١] يوم القيامة، فيقوم المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجَنَّة [٢]، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا! استفتح لنا الجَنَّة، فيقول: وهل أخرجكم من الجَنَّة إلا خطيئة أبيكم آدم! لست بصاحب ذلك [٣]، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم u : لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ [٤]، اعمدوا إلى موسى الذي كلَّمه تكليماً، قال: فيأتون موسى u ، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله [٥] وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً r ، فيقوم، فيُؤذَن له"

- وثبت في "صحيح مسلم" أيضاً من حديث أنس t قال: قال رسول الله r :

"آتي باب الجَنَّة يوم القيامة فأستفتحُ، فيقول الخازن: مَن أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك "

وهذا من إكرام الله تعالى لنبينا r .

---

(١) يجمع الله الناس: أي بعد البعث بأرض المحشر.

(٢) تُزلف لهم الجَنَّة: يعني تُقرَّب لهم الجَنَّة.

(٣) لست بصاحب ذلك: أي لست صاحب التصريف بهذا المقام المنيف.

(٤) وراءَ وراءَ: وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع، أي: لست بتلك الدرجة الرفيعة، وهي من باب التأكيد كـ(شَذَرَ مَذَرَ، شَغَرَ بَغَرَ).

(٥) عيسى u ليس هو كلمة الله، إنما جاء بكلمة الله وهي (كن)، ومن قال إن عيسى u هو كلمة الله؛ فقد جعل كلام الله تعالى مخلوق، تعالى الله عن ذلك.

١٩- أصحـــاب الأعراف:

من المعلوم أنه مَن ثقلت موازينه، فهو من أهل الجَنَّة المفلحين؛ كما أخبر رب العالمين، ومن خفت موازينه، فهو من أهل النار الخاسرين، **قال تعالى:** { فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { ١٠٢ } وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ } [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]

لكن هناك مَن تساوت حسناته بسيئاته، وهم أهل الأعراف، **الذين أخبر عنهم رب العالمين في كتابه الكريم فقال:** { وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ { ٤٦ } وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [الأعراف:٤٦-٤٧]

فأصحاب الأعراف قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجَنَّة، فيقفون على سور بين الجَنَّة والنار حتى يُقضَى بين الناس، وأهل الأعراف يعرفون كلاً من أهل النار، وأهل الجَنَّة بسيماهم التي وصفهم الله بها، وهي بياض الوجه، ونضرة النعيم التي تعلو وجوه أهل الجَنَّة، وسواد الوجه والقترة التي ترهق وجوه أهل النار، ويتوجَّه أهل الأعراف إلى أهل الجَنَّة بالسلام، قائلين لهم: { سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ } ، يقولونها مهنِّئين بالفوز بالحساب، طامعين في أن يدخلهم الله الجَنَّة معهم، وكلما توجَّهت أبصارهم إلى جهة أهل النار؛ تعوَّذوا بالله من منازلهم، وقالوا: { رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } " (انظر تفسير ابن كثير: ٢/٢١٦)

- ومصير أصحاب الأعراف هو الجَنَّة

وهو أقرب إلى ظاهر القرآن، ***كما جاء عن الحسن البصري r أنه تلا هذه الآية*** { لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ } ***قال:*** "والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم، إلا كرامة يريدها بهم، وورد نحوه عن ابن عباس k ، ومجاهد، والضحاك... وغيرهم. والله أعلم

ويقول الشيخ ابن عثيمين r كما في "لقاءات الباب المفتوح" (١/٤٠٨):

"وأهل الأعراف ليسوا من أهل الجَنَّة، ولا من أهل النَّار، بل هم في مكان برزخ عال مرتفع، يرون النَّار، ويرون الجَنَّة، يبقون فيه ما شاء الله، وفي النهاية يدخلون الجَنَّة". اهـ بتصرف

٢٠- تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل دخول الجَنَّة:

بعد أن يمرَّ المؤمنون على الصراط، ويظنون أن الأمر قد انتهى؛ وإذ بهم يقفون على قنطرة المظالم قبل دخول الجَنَّة؛ ليقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، فيرفع بعضهم درجات، وينزل بعضهم درجات، كلا بحسب ما له، وما عليه، لكن لا يعود أحدٌ منهم إلى النار مرة أخرى، وهذا من فضل الله وكرمه، فإذا نُقّوا وهُذّبوا أُذِن لهم بدخول الجَنَّة.

- ***وجاء تفصيل ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري*** t ***عن النبي*** r ***قال:*** **"إذا خلص المؤمنون من النار[١] حُبسوا بقنطرة بين الجَنَّة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقّوا وهُذّبوا أُذن لهم بدخول الجَنَّة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجَنَّة أدل منه بمسكنه كان له في الدنيا"**

- ***قال الحافظ ابن حجر*** r ***في "فتح الباري"(١١/٤٠٧):***

"ولأصل الحديث شاهد من مرسل الحسن، أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح عنه قال: **"بلغني أن رسول الله** r **قال: "يُحبس أهل الجَنَّة بعدما يجوزون الصراط حتى يُؤخَذ لبعضهم من بعض ظلماتهم في الدنيا، ويدخلون الجَنَّة وليس في قلوب بعضهم على بعض غل"**

وقـفة:

فعلى الإنسان منَّا أن يتحلَّل في الدنيا من المظالم، وأن يردَّ الحقوق إلى أهلها، فيوم القيامة لا ظلم فيه ولا هضم، وستُردُّ الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

فعلينا جميعاً أن نعمل بقول النبي r **:**

"مَن كانت عنده مظلمة لأخيه من مالٍ أو عرضٍ؛ فليأته فليستحلَّها منه قبل أن يؤخذ..."

---

(١) *قال القرطبي* r ***في "التذكرة":*** "ومعنى: "ويخلص المؤمنون من النار" أي يخلصون من الصراط المضروب على النار، ودل هذا الحديث على أن المؤمنين في الآخرة مختلفو الحال.

وقال مقاتل: "إذا قطعوا جسر جهنم حُبسوا على قنطرة بين الجَنَّة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا وطُيبوا، قال لهم رضوان وأصحابه: سلامٌ عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين. اهـ

٢١- تزاوُر أهل الجَنَّة:

يزور أهل الجَنَّة بعضهم بعضاً، ويتحدثون معاً بطيب الكلام، ويتذاكرون ما كان بينهم من أمور الدنيا وما منَّ الله به عليهم من دخول الجِّنان

قال تعالى: { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ { ٢٥ } قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ { ٢٦ } فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ { ٢٧ } إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ } [الطور:٢٥-٢٨]

- ويأخذون في الحديث حتى يصلَ بهم الحديث إلى أن يقول قائل منهم: "إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة"، فتقول لهم الملائكة: "هل أنتم مُطَّلِعُونَ في النار لتنظروا إلى منزلته وما صار إليه؟ فيطلع فإذا قرينه في وسط الجحيم، **قال تعالى عن أهل الجَنَّة:** { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ { ٥٠ } قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ { ٥١ } يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ { ٥٢ } أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ { ٥٣ } قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ { ٥٤ } فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ { ٥٥ } قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ { ٥٦ } وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ { ٥٧ } أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ { ٥٨ } إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ { ٥٩ } إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { ٦٠ } لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ } [الصافات:٥٠-٦١]

فالآيات توضح لنا أنه لما رأى قرينه في وسط الجحيم يتلظى بلهيبها، فقال المؤمن لقرينه المشرك مُوَبِّخاً ومُقَرِّعاً: "لقد كدت أن تهلكني لو أنني أطعتك في كفرك وعصيانك، ولولا فضل الله عليَّ؛ لكنت مثلك مُحْضَراً في العذاب في سواء الجحيم، ولكن رحمته تعالى أنقذتني من سوء العاقبة؛ اذ هداني إلى الإيمان، ثم التفت المؤمن إلى جلسائه من أهل الجَنَّة، فقال لهم على مسمع من الكافر ليزيد في ألمه وحسرته وعذابه: "هل نحن مُخلَّدون في الجَنَّة مُنعَّمُون فيها لا نموت ولا تزول نِعَمُهَا عنَّا؟!

وما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين؟ فقيل له: "لا. فقال المؤمن لأصحابه وجلسائه: "إن ما نحن فيه من النعيم مع ما نتمَتَّع به من المآكل والمشارب والملذات هو الفوز العظيم والنجاة مما كنا نحذره من عقاب الله تعالى.

- ومما يدل على تزاور أهل الجَنَّة بعضهم بعضاً

ما رواه الطبراني في "الكبير" وابن أبي شيبة في "مصنفه" بسند فيه مقال: عن الحارث بن مالك الأنصاري t :

"أنه مرَّ برسول الله r ، فقال له: كيف أصبحت يا حارث؟ قال: أصبحت مؤمناً حقا، فقال: انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمأت نهاري وكأني انظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني انظر إلى أهل الجَنَّة يتزاورون فيها، وكأني انظر إلى أهل الدنيا يتضاغون فيها، فقال: يا حارث عرفت فالزم (ثلاثاً)"

٢٢- ضحك أهل الجَنَّة:

بعد أن يدخل أهل الجَنَّةِ الجَنَّةَ، ويدخل أهل النَّارِ النَّارَ؛ ينادي أهل الجَنَّة على أهل النار، **كما قال العزيز الغفار:** { وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } [الأعراف:٤٤]

ثم تجد أن المؤمنين وهم يتقلبون في ألوان النعيم المقيم؛ ينظرون إلى المجرمين فيضحكون منهم ويسخرون بهم بعد أن كان هؤلاء في الدنيا يستهزءون بأهل الإيمان ويسخرون منهم، فها قد تبدَّلت الأحوال، وجوزي الكفار بمثل ما كانوا يفعلون، والجزاء من جنس العمل؛ **قال تعالى:** { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ { ٢٢ } عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ { ٢٣ } تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ { ٢٤ } يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ { ٢٥ } خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ { ٢٦ } وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ { ٢٧ } عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ { ٢٨ } إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ { ٢٩ } وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ { ٣٠ } وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ { ٣١ } وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ { ٣٢ } وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ { ٣٣ } فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ { ٣٤ } عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ { ٣٥ } هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }

[المطففين:٢٢ - ٣٦]

٢٣- نداءات لأهل الجَنَّة:

- **النداء الأول**: *ما جاء ذكره في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري* t *أن النبي* r *قال*: "يؤتي بالموت كهيئة كبشٍ أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجَنَّة فيشرئبون [١] وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي منادٍ: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت، وكلهم قد رآه؛ فيُذْبَح ثم يقول: يا أهل الجَنَّة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ قوله تعالى: { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [مريم:٣٩]"

- **النداء الثاني**: *ما جاء ذكره في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة* t *أن النبي* r *قال*: "ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله U قال تعالى: { وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣ } [الأعراف:٤٣]"

- **النداء الثالث**: *ما جاء ذكره في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث صهيب* t *أن النبي* r *قال في قوله*: { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } ، قال: إذا دخل أهل الجَنَّةِ الجَنَّةَ نادي منادٍ: إن لكم عند الله موعداً، قالوا: ألم يُبَيِّض وجوهنا، ويُنَجِّينا من النار، ويدخلنا الجَنَّة؟ قالوا: بلى؛ فينكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه"

- **النداء الرابع**: *ما جاء ذكره في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري* t *أن النبي* r *قال*: " أن الله يقول لأهل الجَنَّة: يا أهل الجَنَّة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضي يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك، فيقول: ألا اعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً"

(١) يشرئب: يرفع رأسه ويمد عنقه.

٢٤- الذين يدخلون الجَنَّة قبل يوم القيامة:

أول مَن دخل الجَنَّة من البشر هو أبو البشر آدم: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا } [البقرة:٣٥]، **وقال:** { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأعراف:١٩]

ولكن آدم عصى ربه بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها، فأهبطه الله من الجَنَّة إلى دار الشقاء { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً { ١١٥ } وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى { ١١٦ } فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى { ١١٧ } إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى { ١١٨ } وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى { ١١٩ } فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى { ١٢٠ } فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى { ١٢١ } ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى { ١٢٢ } قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } [طه:١١٥-١٢٣]

- ومن الذين يدخلون الجَنَّة قبل يوم القيامة الشهداء

ففي "صحيح مسلم" عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود k عن هذه الآية:

{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آل عمران: ١٦٩]، ***فقال:*** "إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: "أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل مُعلَّقة بالعرش، تسرح من الجَنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي، ونحن نسرح من الجَنَّة حيث شئنا، ففعل بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا"

٢٥- الذين رآهم الرسول r في الجَنَّة وسمع أصواتهم وشمَّ رائحتهم:

- اطلع النبي r على الجَنَّة فرأى فيها الفقراء

ففي "صحيح البخاري" عن عمران بن حصين عن النبي r قال:

"اطَّلعت في الجَنَّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء"

- ورأى النبي r فى الجَنَّة جعفر بن أبي طالب، حمزة بن عبد المطلب k

فقد أخرج الطبراني في "الكبير" والحاكم عن ابن عباس k عن النبي r قال:

"دخلتُ الجَنَّة البارحة فنظرت فيها؛ فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير" (صحيح الجامع:٣٣٦٣)

- *وفي رواية عن الترمذي:* "رأيت جعفر بن أبي طالب متكئ، يطير مع الملائكة بجناحيه"

- وسمع صوت نعل بلال في الجَنَّة

- *فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال لبلال:*

"يا بلال، حدِّثْني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دُفَّ نعليك بين يدي في الجَنَّة، قال: ما عملتُ عملاً أرجى عندي من أني لم أتَطَهَّر طهوراً في ساعة من ليل ولا نهار؛ إلا صلَّيت بذلك الطهور ما كُتِبَ لي أن أُصَلِّي"

- *وعن ابن خزيمة بلفظ:* "يا بلال بِمَ سبقتني إلى الجَنَّة؟ إني دخلت الجَنَّة البارحة، فسمعت خشخشتك أمامي، فقال بلال: يا رسول الله ما أَذْنَبْتُ قط إلا صلَّيت ركعتين، وما أصابني حدثٌ قط إلا توضَّأتُ عندها، فقال رسول الله r : بهذا"

- وسمع حارثة بن النعمان وهو يقرأ في الجَنَّة

فقد أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة i أن رسول الله r قال:

"دخلت الجَنَّة، فسمعت فيها قراءةً، فقلت: مَن هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البرّ كذلكم البرّ، وكان بَرًّا بأُمِّهِ". (صحيح الجامع:٣٣٧١).

- ورأى النبي r في الجَنَّة الغميصاء بنت ملحان i

- فقد أخرج الإمام مسلم عن انس t قال: قال رسول الله r :

"دخلتُ الجَنَّة فسمعتُ خشفةً بين يدي، فقلت: ما هذه الخشفةُ؟ فقيل: الغميصاءُ بنت مِلْحان"

- ورأى النبي r في الجَنَّة عمرو بن الجموح t

فقد أخرج البيهقى أن عمرو بن الجموح t أتى رسول الله r فقال له:

"يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أُقْتَل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجَنَّة؟ - وكانت رجله عرجاء - قال رسول الله r : نعم، فقُتِلُوا يوم أُحُد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمرَّ عليه رسول الله r ، فقال: كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجَنَّة، فأمر رسول الله r بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد".

- وشمَّ النبي r رائحة ماشطة ابنة فرعون

يقول النبي r في رحلة الاسراء والمعراج: "ثم أتت عليَّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال، هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تُمَشِّط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المِدْرَى – المشط الكبير – من يديها، فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا. ولكن رَبِّى ورَبُّ أبيكِ "الله"، قالت: أخبره بذلك؟ قالت: نعم. فأخبرتْهُ فدعاها، فقال: يا فلانة، وأنَّى لك ربَّاً غيرى؟ قالت: نعم، رَبِّى ورَبُّك الله، فأمر ببقرة من نحاسٍ فأُحْمِييت، ثم أَمَرَ بها أن تُلْقَى هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحبُّ أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأَمَرَ بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها يرضع، وكأنها تقاعست من أجله، قال: يا أَمَّه اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت – وفي رواية أنه قال لها: "يا أُمَّه اصبري فإنكِ على الحقِّ"

٢٦- الجَنَّة محفوفة بالمكاره وطريقها شاق:

وهذا ما أخبر به النبي r

- ***فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t عن النبي r قال:***

"حُجِبَت النار بالشهوات، وحُجِبَت الجَنَّة بالمكاره"

- ***وفي رواية الإمام مسلم:*** **"حُفَّت الجَنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات"**

قال النووي r معلقاً على الحديث السابق:

"هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها r من التمثيل الحسن، ومعناه لا يوصل الجَنَّة الا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمَن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجَنَّة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادة والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ والعفو والحلم، والصدقة، والإحسان إلى المسيء والصبر عن الشهوات... ونحو ذلك".

- ***وفي "سنن النسائي" والترمذي وأبي داود عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال:***

"لما خلق الله الجَنَّة، قال لجبريل: اذهب فانظر إليها؛ فذهب فنظر إليها، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحدٌ الا دخلها، فحفها بالمكاره، فقال: اذهب فانظر إليها، ثم جاء فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ..." الحديث (صحيح الجامع:٥٢١٠)

ولعل هذا هو السبب الذي جعل جبريل u عندما رأى ما أعده الله تعالى من النعيم المقيم لعباده في الجَنَّة؛ ظن أن كل مَن يسمع بالجَنَّة ونعيمها؛ سيعمل من أجل أن يدخلها، ***لذا قال:***

"فوعزتك لا يسمع بها أحدٌ الا دخلها"، بعد أن قال جبريل u ذلك؛ "أمر الله تعالى الجَنَّة فحفت بالمكاره، ثم قال لجبريل: ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره"، فعُلِم بذلك أنه لم يعد الطريق إليها سهلاً، بل هو طريق وعر محفوف بالمتاعب والآلام والدموع والعرق والدم والتضحيات، وبذل كل ما في الوسع، ليس طريقاً مليئاً بالمتع والشهوات والنزوات، فمَن أراد الجَنَّة ونعيمها؛ فليوطن نفسه لتحمل هذه المكاره التي حفت بها الجَنَّة

- وهي الأمور التي تكرهها النفس لمشقتها- فلا يصل إلى الجَنَّة أحد إلا إذا تجرَّع من غُصَص هذه

المكاره التي تحيط بها، ففي الحديث الشريف قد شبه حال التكاليف الشاقه على النفس - التي حفت بها الجَنَّة- والتي ينبغي على مَن يريد الجَنَّة أن يؤديها ويقوم بها خير قيام، كالصبر على المحن والبلايا والمصائب، والصبر على الطاعات التي تشق على النفس، كالجهاد في سبيل الله ... وغير ذلك، شبه كل ذلك بحال أسوار كثيفة من الأشواك التي يكمن فيها كل حيوان ضار من الوحوش والحيَّات والعقارب وهذه الأسوار الكثيفة الكريهة محيطة ببستان عظيم تلتف به من كل مكان، بحيث لا يستطيع أن يصل أحد إلى هذا البستان، ولا يحظى بالتَّنعُّم بما فيه إلا بعد أن يتخطى هذه الأسوار البغيضة ويتجشم المشاق التي تلحقه حين سلوكه فيها، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى جهاد طويل شاق وصبر دائم، كذلك الجَنَّة لا ينالها ويحظى بنعيمها الدائم إلا مَن تخطى شدائد دنياه مجاهداً نفسه، صابراً على ما يصيبه، راضياً بقضاء الله تعالى، قائماً بتكاليف الإسلام خير قيام، مُضَحِّياً بالنفس والمال في سبيل نيل مطلوبه، فالجَنَّة هي الثمن الذي اشترى الله به نفوس المؤمنين وأموالهم، **قال تعالى:**

{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة:١١١]

قال شمر بن عطية:"ما من مسلمٍ إلا لله **U** في عنقه بيعة وفَّى بها أو مات عليها، ثم تلا الآية السابقة"

بل أكَّد الله تعالى الوعد الذي ذكره في هذه الآية، وأخبر بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وأنزله على رسله في كتبه العظيمة، التوراة والإنجيل والقرآن، ثم بشَّر مَن قام بمقتضى هذا العقد، ووفَّى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم.

ورحم الله مَن قال:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة ... بل أنتِ غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن ليس ينالها ... في الألف إلا واحد لا اثنان
يا سلعة الرحمن أين المشتري ... فلقد عرضت بأيسر الأثمان
يا سلعة الرحمن هل من خاطب ... فالمهر قبل الموت ذو إمكان
يا سلعة الرحمن لولا أنها ... حجبت بكل مكاره الإنسان
ما كان عنها قط من تخلف ... وتعطلت دار الجزاء الثـــاني
لكنهـا حُجبت بكل كريـــهة ... ليصد عنها المبطل المتواني
وتنـالهـا الهمم التي تسمو ... إلى رب العلا بمشيئة الرحمن
فَاتْعَبْ ليوم معـــادك الأدنى ... تجد راحاته يوم المعاد الثاني

٢٧- الجَنَّة ليست جزاء العمل:

يظن البعض أنه طالما في الدنيا صام وقام وفعل الصالحات وترك المنكرات؛ أنه يستحق بذلك الجَنَّة، وهذا فهم خاطئ، وإنما الجَنَّة تنال بفضل الله ورحمته

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة i قالت قال رسول الله r :

"سدِّدُوا وقاربوا وابشروا واعلَمُوا أنه لن يُدْخِلَ أحدكُم الجَنَّة عملُهُ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة"

- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله r :

"لن يُدخل أحداً عملُهُ الجَنَّة، ولا أنا إلا أن يتغمَّدَنِي الله بفضل رحمته، فسدِّدُوا وقاربوا ولا يتمنَّى أحدكم الموت، إما مُحسنٌ فلعله يزداد خيراً، واما مسيءٌ فلعله أن يستعتب"

- وفي رواية أخرى عند مسلم من حديث جابر t قال: سمعت رسول الله r يقول:

"لا يدخل أحد منكم عمله الجَنَّة، ولا يجيره من النار، ولا أنا، إلا برحمة من الله"

· رفع شبهة ودفع إشكال:

البعض يقول: أليس هناك تعارض بين ما تقدَّم من قول النبي r : **"لن يدخل أحد منكم الجَنَّة عمله"، وبين قوله تعالى:** { وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [الأعراف:٤٣]، **وقوله:**

{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة:١٧]

وهذه الآيات تدل على أن دخول الجَنَّة إنما يكون بالعمل

والجواب: أنه لا تعارض بين أحاديث النبي r والآيات، وذلك من جهة أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة، التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، والباء التي اثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله.

وقد جمع النبي r بين الأمرين بقوله r كما عند البخاري ومسلم:

"سدِّدُوا وقاربوا وابشروا، فإنه لا يُدخل أحداً الجَنَّة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة" (مختصر "حادي الأرواح": ٥٦-٥٧)

فالآيات تدل على أن الأعمال سبب لدخول الجَنَّة وليست ثمناً لها، والحديث نفى أن تكون الأعمال ثمناً لها وقد ضل في هذا فرقتان: الجبرية التي استدلت بالحديث على أن الجزاء غير مرتب على الأعمال؛ لأنه لا صنع للعبد في عمله، والقدرية استدلوا بالآيات، وقالوا: "إنها تدل على أن الجَنَّة ثمن للعمل، وأن العبد مستحق دخول الجَنَّة على ربه بعمله"

- يقول ابن أبي العز الحنفي "شارح الطحاوية" في هذه المسألة:

"وأما ترتُّب الجزاء على الأعمال، فقد ضل فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السُّنَّة، وله الحمد والمِنَّة، فإن الباء في النفي غير الباء التي في الإثبات، ***فالمنفي في قوله r*** :**"لن يدخل الجَنَّة أحد بعمله"** باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجَنَّة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجَنَّة على ربه بعمله، بل ذلك برحمة الله وفضله، **والباء التي في قوله:**

{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة:١٧]، وغيرها باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته". (شرح الطحاوية:٤٩٥)

- أضف لهذا ما ذكره سفيان وغيره، حيث قال: "كانوا يقولون: "النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجَنَّة برحمته، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال. والله أعلم"

٢٨- مقارنة بين نعيم الجَنَّة ونعيم الدنيا [١]:

متاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجَنَّة غيب موعود، والناس يتاثرون بما يرون ويشاهدون، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي، فكيف إذا كان الموعود ينال بعد الموت؟ من أجل ذلك قارن الحق - تبارك وتعالى - بين متاع الدنيا ونعيم الجَنَّة، وبيَّن أن نعيم الجَنَّة خير من الدنيا وأفضل، وأطال في ذم الدنيا وبيان فضل الآخرة، وما ذلك إلا ليجتهد العباد في طلب الآخرة ونيل نعيمها.

وتجد ذم الدنيا ومدح نعيم الآخرة، وتفضيل ما عند الله على متاع الدنيا القريب العاجل في مواضع كثيرة، **كقوله تعالى:** { لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ } [آل عمران: ١٩٨]

وقوله: { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [طه:١٣١]

وقال في موضع ثالث: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ { ١٤ } قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ }

[آل عمران: ١٤-١٥]

وسر أفضلية نعيم الآخرة على متاع الدنيا من وجوه متعددة، منها:-

الأول: متاع الدنيا قليل، قال تعالى: { قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى } [النساء:٧٧]

وقد صور لنا الرسول r قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال:

"والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه – وأشار بالسبابة- في اليم فلينظر بم ترجع" (رواه مسلم)

ما الذي تأخذه الأصبع إذا غمست في البحر الخضم؟! إنها لا تأخذ منه قطرة، هذا هو نسبة الدنيا إلى الآخرة.

ولما كان متاع الدنيا قليلاً، فقد عاتب الله المؤثرين لمتاع الدنيا على نعيم الآخرة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ }

[التوبة:٣٨]

قال تعالى: { وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الأعلى:١٧]، **وقال أيضاً:** { وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [طه:١٣١]

---

(١) الجَنَّة والنار لعمر سليمان الأشقر r (ص ٢١٥ - ٢١٩) بتصريف واختصار.

الثاني: **هو أفضل من حيث النوع**، فثياب أهل الجَنَّة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم أفضل مما في الدنيا، **قال تعالى:** { وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً } [الإنسان:٢٠]

بل لا وجه للمقارنة، فإن موضع سوط في الجَنَّة خير من الدنيا وما فيها

ففي "صحيح البخاري ومسلم" عن أبي هريرة t قال قال رسول الله r :

"موضع سوط في الجَنَّة خير من الدنيا وما فيها"

- وفي الحديث الآخر الذي يرويه البخاري ومسلم أيضاً عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r : **"ولقاب [1] قوس أحدكم من الجَنَّة؛ خير ممَّا طلعت عليه الشمس".**

- وقارن نساء أهل الجَنَّة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجَنَّة على ما في الدنيا

- ففي "صحيح البخاري" عن أنس t قال: قال رسول الله r :

"وإن امرأة من نساء أهل الجَنَّة اطلعت على الأرض؛ لأضاءت ما بينهما؛ ولملأت ما بينهما ريحاً، وَلَنَصِيفُهَا[2] على رأسها خير من الدنيا وما فيها".

الثالث: **الجَنَّة خالية من شوائب الدنيا وكدرها**، فطعام أهل الدنيا وشرابهم يلزم منه الغائط والبول والروائح الكريهة، وإذا شرب المرء خمر الدنيا؛ فَقَدَ عقله، ونساء الدنيا يحضن ويلدن، والمحيض أذى والجَنَّة خالية من ذلك كله، فأهلها لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتفلون، **وخمر الجَنَّة كما وصفها خالقها:** { بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ { ٤٦ } لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ } [الصافات:٤٦– ٤٧]

- وماء الجَنَّة لا يأسن، ولبنها لا يتغير طعمه { فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ } [محمد:١٥]

- ونساء أهل الجَنَّة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قاذورات نساء الدنيا؛ **كما قال تعالى:**

{ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ } [البقرة:٢٥]

- وقلوب أهل الجَنَّة صافية، وأقوالهم طيبة، وأعمالهم صالحة، فلا تسمع في الجَنَّة كلمة نابية تكدر الخاطر، وتعكر المزاج، وتستثير الأعصاب، فالجَنَّة خالية من باطل الأقوال والأعمال { لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ } [الطور:٢٣]، ولا يطرق المسامع إلا الكلمة الصادقة الطيبة السالمة من عيوب كلام أهل الدنيا، **قال تعالى:** { لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً } [النبأ: ٣٥]، **وقال:** { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً } [مريم:٦٢]

(١) قاب: أي قدر، وهو الموضع والمقدار.
(٢) نصيف: الخمار.

وقال تعالى: { لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً } [الغاشية:١١]، إنها دار الطهر والنقاء والصفاء الخالية من الشوائب والأكدار، إنها دار السلام والتسليم { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً { ٢٥ } إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً } [الواقعة:٢٥-٢٦]

- فأهل الجَنَّة عند دخول الجَنَّة لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يُسَبِّحون الله بكرة وعشياً، **وصدق الله إذ يقول:** { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ } (١) [الحجر:٤٧]

- وقد نُقِلَ عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب y :

"أن أهل الجَنَّة عندما يدخلون الجَنَّة؛ يشربون من عين؛ فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ويشربون من عين أخرى؛ فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم" ("التذكرة" للقرطبي:ص٤٤٩)

ولعلهم استفادوا هذا من قوله: { وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً } [الإنسان: ٢١]

الرابع: نعيم الدنيا زائل ونعيم الآخرة باق دائم، قال تعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (٢) [العنكبوت:٦٤]

- ولذلك سمَّى الحق - تبارك وتعالى - ما زين للناس من زهرة الدنيا متاعاً؛ لأنه يتمتع به ثم يزول، أما نعيم الآخرة فهو باق ليس له نفاد { مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ } [النحل:٩٦]

{ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ } [ص:٥٤]، { أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا } [الرعد:٣٥]

- وقد ضرب الله الأمثال لسرعة زوال الدنيا وانقضائها { وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً { ٤٥ } الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً } [الكهف:٤٥-٤٦]

فقد ضرب الله مثلاً لسرعة زوال الدنيا وانقضائها، بالماء النازل من السماء الذي يخالط نبات الأرض؛ فيخضر ويزهر ويثمر، وما هي إلا فترة وجيزة حتى تزول بهجته، فيذوي ويصفر، ثم تعصف به الرياح في كل مكان، وكذلك زينة الدنيا من الشباب والمال والأبناء والحرث والزرع... كلها تتلاشى وتنقضي، فالشباب يذوي ويذهب، والصحة والعافية تبدل هرماً ومرضاً، والمال والأولاد قد يذهبون، وقد ينتزع الإنسان من أهله وماله، أما الآخرة فلا رحيل ولا فناء ولا زوال

{ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ { ٣٠ } جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } [النحل:٣٠-٣١].

---

(١) الغل: الحقد.

(٢) { لَهِيَ الْحَيَوَانُ } : لهي دار الحياة الدائمة الخالدة.

الخامس: العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران:

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥]

أما العمل للآخرة، فلا يعقبه إلا الفوز بها.

٢٩- الفوز بنعيم الجَنَّة لا يستلزم ترك متاع الدنيا:

ظن الرُّهبان وكثير من عُبَّاد هذه الأمة، أن نعيم الآخرة لا يمكن أن ينال إلا إذا رفض العبد طيبات الدنيا وملاذها، ولذلك ترى هؤلاء يعذبون اجسادهم، ويشقون على أنفسهم، فيديمون الصيام والقيام، وقد يحرم بعضهم الطيبات من الطعام والشراب واللباس، وقد يتركون العمل والزواج؛ وهذه فكرة خاطئة

فإن الله خلق الطيبات للمؤمنين، وذم مَن حَرَّمَ زينة الله التي أخرج لعباده { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [الأعراف:٣٢]

والدنيا تذم إذا كانت شاغلاً عن الآخرة، أما إذا جعلها العبد معبراً ومدخلاً لنيل الآخرة، فالأمر ليس كما يظن بعض الناس.

- وانظر إلى الصالحين من قوم قارون، عندما قالوا له بعدما نسي الآخرة بسبب أمواله { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص: ٧٧]

فلم يأمروه بترك الدنيا كلها، بل قالوا له: { وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } وأقرهم ربُّ العزة على هذه الكلمة وسطَّرها في كتابه عنوانا لمنهج رباني. (اليوم الآخر في القرآن العظيم: ص٦٢٦)

٣٠- أعظم النعيم النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم:

فأفضل ما يعطاه أهل الجَنَّة هو النظر إلى وجه الله الكريم، يقول ذو النون r : "والله ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجَنَّة إلا برؤية وجهه"

وكان النبي r يقول في دعاء له: **"وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضَرَّاء مُضِرَّة، ولا فتنة مُضِلَّة..."** (الحديث رواه النسائي والحاكم، وهو في صحيح الجامع: ١٣٠١)

- قال ابن القيم r في كتابه "حادي الأرواح":

"هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً، وأعلاها خطراً، وأقرها عيناً لأهل السُّنَّة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمَّر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجَنَّة نسوا ما هم فيه من النعيم وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم اتفق عليها الانبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون". اهـ

فرؤية وجه الله هي الغاية القصوى والنهاية العظمى، وأعلى الكرمات، وأفضل العطيات التي شمَّر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون، واجتهد في نيلها العابدون، وقد تضافرت النصوص من الكتاب العزيز والسُّنَّة النبوية الصحيحة على أن المؤمنين يرون الله U بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر.

والآيات التي تدل على رؤية الله تعالى كثيرة وهي أنواع، منها:-

١) آيات المزيد:

{ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [يونس:٢٦]

وأخرج مسلم من حديث صهيب[١] t أن النبي r قال:

"إذا دخل أهل الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يقول الله - تبارك وتعالى -: تريدون شيئاً أزيدكم، فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجَنَّة، وتُنَجِّينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم U، ثم تلا هذه الآية: { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } ،

وقال r : **"الحسنى: الجَنَّة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن"**

وهذا الحديث متواتر يقطع بصحته. (نظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني: ص٢٥٣)

(١) صهيب: بالتصغير، وهو ابن سنان الرومي.

- **وقرأ أبو بكر الصديق t : قوله تعالى:** { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى } [يونس:٢٦]، **فقال:** "الجَنَّة"، { وَزِيَادَةٌ } : **قال:** "النظر إلى وجه الله تعالى". (رواه عبد الله بن أحمد في السُنَّة وابن أبي عاصم في السُنَّة)

– **وقال تعالى:** { لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } [ق:٣٥]

وعن علي وأنس k : "أن تفسير هذه الآية: النظر إلى وجه الرحمن"

(شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة للالكائي: (٥١٩/٣).

- **ويقول علي بن أبي طالب t :** "من تمام النعمة دخول الجَنَّة والنظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى - في جنته" (شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة للالكائي: (...٨) (٤٩٦/٤)

- **وقال ابن القيم r تعالى في كتابه "حادي الأرواح":**

"لما عطف سبحانه الزيادة على الحسني التي هي الجَنَّة، دل على أنها أمر آخر من وراء الجَنَّة، وقدر زائد عليها، ومَن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب - تبارك وتعالى -.

- **يقول ابن كثير r في "تفسيره" (٢٢٨/٤):**

"**قوله تعالى:** { وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } **كقوله U :** { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }

٢) الآيات الصريحة في النظر إلى وجه الله تعالى:

قال تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ { ٢٢ } إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة:٢٢-٢٣]

الناضرة: الحسنة، حسَّنَها الله بالنظر إليه سبحانه، وحق لها أن تنضرَ وهي تنظر إلى ربها جلَّ جلاله.

(أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان:١٠٧٣/٣)

وفي قوله: { إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } هذا من النظر، أي إلى خالقها ومالك أمرها، ناظرة: أي تنظر إليه، والمراد به ما تواترت به الأحاديث الصحيحة، من أن العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة، كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر. (فتح القدير للشوكاني:٣٣٦/٥)

- **وقال ابن القيم r كما في الأية السابقة:** "أي تنظر إلى ربها نظراً، وهذا قول كل مفسر من أهل السُنَّة والحديث.

- **جاء في "شرح السُنَّة" أنه قيل للإمام مالك: "إن قوما يقولون في قوله تعالى:**

{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ { ٢٢ } إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة:٢٢-٢٣]: أي ناظرة إلى ثوابه، **فقال الإمام مالك r :** "كذبوا"، **فأين هم من قوله تعالى:** { كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ } [المطففين:١٥]

ثم قال الإمام مالك r : "الناس ينظرون إلى الله يوم القيامة بأعينهم".

٣) آيات حرمان الكفار من رؤيته سبحانه:

بيَّن سبحانه في بعض الآيات أنه يحرم الكفار من النظر إليه؛ عقوبة لهم على كفرهم، وهذا يدل بمفهومه أن المؤمنين يرونه سبحانه، إذ لو كان المؤمنون لا يرونه أيضاً، لما كان لتخصيص الكفار بالحرمان فائدة، بل أصبح هذا الكلام من العبث الذي ينزه عنه الشارع، **قال تعالى:** { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [آل عمران:٧٧]، **وقال تعالى:** { كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ } [المطففين: ١٥]

في هذه الآية دليل على أن الله **U** يُرَى في القيامة، ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خصَّت الكفار بأنهم يحجبون، وقال مالك ابن أنس في هذه الآية: "لما حجب أعداءه فلم يروه تجلَّى لأوليائه حتى رأوه، وقال الشافعي: "لما حجب قوماً بالسخط؛ دلَّ على أن قوماً يرونه بالرضا"، ثم قال: "أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا". **(تفسير القرطبي:١٧١/١٩) بتصرف**

وعن أشهب قال: سأل رجلٌ مالكاً: "هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: "لو لم يَرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يُعيِّر الله الكفار بالحجاب، فقرأ: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ } [المطففين: ١٥]، فقيل له: يا أبا عبد الله، فإن قوماً يزعمون أن الله لا يُرَى: فقال مالك: "السيف السيف" **(شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي:٥١٨/٣).**

وقال نعيم بن حماد: "سمعت ابن المبارك يقول:

"ما حجب الله **U** أحداً عنه إلا عذبه، **ثم قرأ:** { كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ { ١٥ } ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ { ١٦ } ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ } [المطففين:١٥-١٧]، ***قال:*** بالرؤية".

- هل يرى أهل النفاق ربهم U؟

والجواب: "إن الأدلة تقتضي ذلك، **فقد قال تعالى في شأن أهل النفاق:** { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ } [التوبة:٧٧]، ***وفي الحديث الطويل:*** "... فيأتيهم ربهم..." (حديث أخرجه البخاري ومسلم).

٤) آيات العندية:

عن مسروق قال: "سألنا عبد الله عن هذه الآية: { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آل عمران: ١٦٩]، **قال: *أما إنَّا قد سألناه عن ذلك - يعني رسول الله -* r فقال:** "أرواحهم في جوف طيرٍ خضر لها قناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً، قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجَنَّة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، فقالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا" (رواه مسلم).

٥) آيات الملاقاة:

قال تعالى: { وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [البقرة: ٢٢٣]

وقال تعالى: { تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً } [الأحزاب: ٤٤]،

وقال تعالى: { وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَا أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ } [هود: ٢٩]

وقال تعالى: { قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة: ٢٤٩]

وقال تعالى: { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } [الكهف: ١١٠]

- ***وقال علي بن المديني:*** *"سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى:* { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً } ، ***قال عبد الله:*** "مَن أراد النظر إلى وجه الله خالقه؛ فليعمل عملاً صالحاً، ولا يخبر أحداً"

وقال تعالى: { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة: ٤٦]

- ***قال ابن القيم*** r : "وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متي نُسِبَ إلى الحي السليم من العمى والمانع، اقتضى المعاينة والرؤية" ("حادي الأرواح": ص٣٢٨)

أما الأحاديث النبوية والتي تدل على الملاقاة:-

- *فقد أخرج البخاري من حديث عدي بن حاتم الطائي* t *عن النبي* r *أنه قال:*

"ولَيَلْقِيَنَّ الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيُبلغُك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وأَفْضَلْ عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم..." الحديث.

- وثبت أن الله U سيكلِّم عبد الله بن حرام (والد جابر) كفاحاً (بغير حجاب)

فقد أخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله* k *قال:

"لما قتل عبد الله بن حرام يوم أُحُد، قال رسول الله r: "يا جابر ألا أخبرك ما قال الله U لأبيك؟ قلت: بلى. قال: ما كلَّم الله احداً إلا من وراء حجاب، وكلَّم أباك كفاحاً [1] فقال: يا عبدي تمنَّ عليّ أعطك، قال: يا رب فأبلِغ من ورائي، فأنزل الله U هذه الآية:

{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آل عمران:١٦٩]"

- *وأخرج البخاري من حديث انس بن مالك* t : "أن رسول الله r أرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قُبَّة، وقال لهم: اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإني على الحوض"

- *وأخرج البخاري عن أبي بكرة* t *عن النبي* r *قال:*

"إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السَّنَة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حُرُم...." *وساق الحديث وفيه:* "... وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم"

- *واستدل الحافظ ابن حجر* r *على إثبات الرؤية في الآخرة بما ورد من الإيمان بلقاء الله تعالى، كما في بعض روايات حديث جبريل الطويل:* **"أ**قال الإيمان؟ وما :) الله لرسول قال نه: **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله..."**

- *قال الحافظ* r : "المراد باللقاء: رؤية الله، وذكره الخطابي"

وقال الحافظ أيضاً: "وهذا من الأدلة القوية لأهل السُّنَّة في إثبات رؤية الله – تعالى- في الآخرة، إذ جعلت من قواعد الإيمان" **(فتح الباري:١١٨/١)**

---

(١) كفاحاً: أي مواجهة، ليس بينهما حجاب ولا رسول.

- ***وقال ابن مسعود t - في مسجد الكوفة - يبدأ باليمين قبل أن يُحدِّث:***

"والله إن منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ما غرَّك يا ابن آدم ثلاث مرات؟ ماذا أجبت المرسلين ثلاثاً؟ كيف عملت فيما علمت؟"

(شرح أصول الاعتقاد للالكائي:٨٦٠/٩٧٤).

- ***وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله k قال: قال لي رسول الله r:***

"يا جابر، أما علمت أن الله U أحيا أباك، فقال له: تمنَّ عليَّ، فقال: أُرَدُّ إلى الدنيا فأُقْتَل مرة أخرى، فقال: إني قضيت الحكم أنهم إليها لا يرجعون"

- ***وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة t قال:***

"قالوا يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ (١) قال: هل تُضَارُون (٢) في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابةٍ؟ قالوا: لا. قال: فهل تُضَارُون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تُضَارُون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما(٣)، قال: فيَلْقَى العبد، فيقول: أي فُل(٤)! ألم أُكْرِمْك وأُسَوِّدْكَ(٥) وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّر لك الخيل والإبل، وأَذَرْك ترأس(٦) وتربع(٧)، فيقول: بلى. فيقول: أفظننت أنك مُلاقيَّ، فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني(٨)، ثم يَلقَى الثاني، فيقول: أي فُل! ألم أُكْرِمْك وأُسَوِّدْكَ وأُزَوِّجْكَ، وأُسَخِّر لك الخيل والإبل، وأَذَرْك ترأس وتربع، فيقول: بلى أي رب، فيقول: أفظننت أنك مُلاقيَّ، فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يَلقَى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك، وصلَّيت وصُمْت وتصدَّقتُ، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذاً (٩)، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكَّرُ في نفسه، مَن ذا الذي يشهد عليَّ، فيُخْتَمُ على فِيْهِ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي؛ فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك لِيُعْذَر من نفسه(١٠)، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه"

---

(١) هل نرى ربنا يوم القيامة: إشارة إلى أن السؤال لم يقع عن الرؤية في الدنيا فهي لم تحصل لأحد، لكن في الآخرة سيراه المؤمنون، كما جاء في "صحيح مسلم" عن أبي أمامة t أن النبي r قال: "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"

(٢) تضارون: أي لا تضُرُّون أحداً، ولا يضركم أحدٌ بمنازعة ولا مضايقة.

(٣) ما تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما: وهذا من باب تشبيه الرؤية بالرؤية من حيث الوضوح وعدم الشك ورفع المشقة لا كتشبيه المرئي بالمرئي، فكيف يشبه الخالق بالمخلوق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٤) أي فُل: أي يا فلان.

(٥) أسوِّدْك: أي أجعلك سيداً على غيرك.

(٦) ترأس: أي تكون رئيس وكبير القوم

(٧) تَرْبع: أي تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب.(قالة القاضي)

(٨) أنساك كما نسيتني: أي أمنعك الرحمة كما امتنعت عن طاعتي.

(٩) هاهنا إذن: أي قف هنا حتى تشهد عليك جوارحك، إذ قد صرت مُنكِراً.

(١٠) ليعذر من نفسه: أي ليزيل الله عذره من قِبَل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليها، بحيث لم يبقَ له عذر يتمسك به.

- الأحاديث النبوية التي تدل على الرؤية:-

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله U في الدار الآخرة في الأحايث الصِّحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها. (تفسير ابن كثير:٤/٤٥٠).

- ***وقد حكم ابن القيم r على الأحاديث الواردة في رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة:*** "بأنها متواترة (أي في أعلى درجات الصحة)، ***قال r :*** "وأما الأحاديث عن النبي r وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة. ("حادي الأرواح").

- ***وفي "نظم المتناثر من الحديث المتواتر":*** "ذكر أن أحاديث الرؤية وردت مرفوعة من طريق ثمانية وعشرين صحابياً ثم سرد أسمائهم" (نظم المتناثر للكتاني: ص٢٥٠)("حادي الأرواح": ص٣٣٧)

- ***وقال ابن أبي العز الحنفي في "شرحه للطحاوية"(١/٢١٧):***

"وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومَن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها"

ومن هذه الأحاديث:-

١ - ***ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري t :***

"أن أناساً في زمن النبي r قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي r : نعم. هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا، قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا، قال r : ما تضارون من رؤية الله U يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما".

٢ - ***وأخرج البخاري عن أبي هريرة t أن أناساً قالوا لرسول الله r :***

"يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة، فقال رسول الله r : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك".

٣ - ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله k قال:***

"كنا عند النبي r فنظر إلى القمر ليلة – يعني البدر - فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضَامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ } [ق: ٣٩]"

٤ - وفي رواية عند البخاري عن جرير بن عبد الله t قال:

"كنا جلوسا مع النبي r ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تُضَامُّون في رؤيته".

٥ - وأخرج ابن أبي عاصم في السُّنَّة من حديث بريدة بن الحصيب t قال:

قال رسول الله r : "ما منكم من أحدٍ إلا سيخلو الله به يوم القيامة، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان" (صحَّح إسناده الألباني r)

٦ - وأخرج الإمام أحمد وأبو داود عن عبادة بن الصامت t عن النبي r أنه قال:

"وقد حدَّثْتُكم عن الدَّجَّال؛ حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدَّجَّال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء، فإن أُلبِس عليكم، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا". (قال الألباني: إسناده جيد، رجاله ثقات)

٧ - وفي "الصحيحين" من حديث أبي موسى t عن النبي r قال:

"جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم أن ينظروا إلى ربهم - تبارك وتعالى- إلا رداء الكبرياء على وجهه في جَنَّة عدن"

٨ - وأخرج ابن خزيمة في كتابه "التوحيد" عن أبي موسى t عن النبي r قال:

"يتجلَّى لنا ربنا - تبارك وتعالى - ضاحكاً يوم القيامة" (السلسلة الصحيحة:٧٥٥)

٩ - وفي حديث الشفاعة الطويل وهو حديث عند البخاري ومسلم من حديث أنس t وفيه: "... فيأتوني فأستأذنُ على ربي فيُؤذن لي، فإذا أنا رأيته؛ وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تُشَفَّع..." الحديث.

١٠ - *وأخرج النسائي من حديث عمار بن ياسر* t *قال:*

"أن النبي r كان يدعو بهذا الدعاء: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أَحْيِنِي ما علمت الحياة خيراً لي، وتَوَفَّنِي ما علمت الوفاة خيراً لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وقُرَّةَ عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك بَرْدَ العيش بعد الموت، وأسألك لذَّة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضرَّاء مُضِرَّة، ولا فتنة مُضِلَّة، اللهم زَيِّنَا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين" (صحيح الجامع:١٣٠١)

الشاهد: *قوله*: **"وأسألك لذة النظر إلى وجهك"** والنبي أعلم الناس بما يجيزه الشرع، وأحرص الناس على الخير، فهو لا يدعو إلا بما هو جائز وحاصل لا محالة.

- *يقول ابن القيم* r :

ويرونه سبحانه من فوقهم	نظر العيان كما يُرى القمران
هذا تواتَرَ عن رسول الله	لم ينكره إلا فاسد الإيمان
وأتى به القرآن تصريحا	وتعريضاً هما بسياقه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس	تفسير مَن قد جاء بالقرآن
ورواه عنه مسلمٌ بصحيحه	يروي صُهيبٌ ذا بلا كتمان
وهو المزيدُ كذاك فسره أبو	بكر هو الصدِّيق ذا الإيقان
وعليه أصحابُ الرسولِ وتابعوهم	بعدهم تبعية الإحسان
ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا	الرحمن في سورٍ من الفرقان
ولقاؤه اذ ذاك رويتُهُ حكى	الإجماع فيه جماعة ببيان
وعليه أصحابُ الحديث جميعهم	لُغَةً وعُرفاً ليس يختلفان
هذا ويكفي أنه سبحانه	وصف الوجوه بنظرةٍ بجنان

وقفة:

مَن كان في الدنيا أعرف الناس بربه وأكثرهم طاعة وعبادة له، كان أقرب الناس إليهم يوم القيامة، فرؤية الله والقرب منه بحسب معرفته والقرب منه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية* r *كما في "مجموع الفتاوى" (٦/٤٩٥):

"ورؤيته سبحانه هي أعلى مراتب نعيم الجَنَّة وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين، وإن كانوا في الرؤية على درجات على حسب قربهم من الله ومعرفتهم به". اهـ

• شبهات مَن يقول بعدم رؤية اللّه تعالى يوم القيامة

يقول ابن القيم **r** : "وقد أنكر رؤية الله تعالى أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسُّنَّة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين وأعداء الرسول وحزبه".اهـ

فالفرق الضالة من الجهمية والمعتزلة، ومَن تبعهم من الخوارج والإمامية؛ نفت رؤية الله تعالى بمقاييس عقلية باطلة، وتحريفات لفظية جائرة، وشبهات واهية.

• الشبهة الأولى:

قالوا: "إن الله لا يُرَى؛ **بدليل قوله تعالى:** { لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ } [الأنعام:١٠٣]

وأجيب على هذا الاستدلال: بأن الإدراك غير الرؤية، فقد تحدث الرؤية ولا يحدث الإدراك، **قال تعالى في شأن قوم فرعون مع قوم موسى** **u** : { فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ } [الشعراء:٦١]؛ فحصلت الرؤية ولم يحصل الإدراك، ***وقد استدل ابن القيم*** **r** ***بهذه الآية نفسها على إثبات الرؤية، فقال في كتابه "حادي الأرواح":*** "والاستدلال بهذا أعجب، فإنه من أدلة النفاة، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: "أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآيةٍ أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله، فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب - تبارك وتعالى- بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السِّنَة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته، ولهذا لم يمتدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه،

فلو كان المراد بقوله: { لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبصَارُ } [الأنعام:١٠٣] أنه لا يُرَى بحال، لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب-جلَّ جلاله وتعالى- أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به،

كما كان المعنى في قوله: { وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ } [يونس:٦١] أنه يعلم كل شيء،

وفي قوله: { وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ } [ق:٣٨]، أنه كامل القدرة، **وفي قوله:** { وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً } [الكهف:٤٩] أنه كامل العدل، **وفي قوله:** { لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ } [البقرة:٢٥٥] أنه كامل القيومية

فقوله: { لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبصَارُ } [الأنعام:١٠٣] يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية،

كما قال تعالى: { فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ { ٦١ } قَالَ كَلَّا . . . } [الشعراء:٦١-٦٢]

فلم ينفِ موسى الرؤية، **ولم يريدوا بقولهم:** { إِنَّا لَمُدْرَكُونَ } إنا لمرئيون، فإن موسى u نفى إدراكهم إياهم، **بقوله:** { كَلَّا } وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم، **بقوله:** { وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى } [طه:٧٧] فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر، وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يُعلم ولا يُحاط به، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية. (راجع شرح الطحاوية:٢٠٤-٢١٠)

- **الشبهة الثانية:**

استدل بعضهم على منع الرؤية، **بقوله تعالى لنبيه موسى u لما سأله موسى:** { رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً } [الأعراف:١٤٣]، قالوا: **فقوله تعالى:** { لَن تَرَانِي } دال على عدم الرؤية؛ وذلك لأن { لَن } تفيد التأبيد، ***وأجيب على ذلك:*** "بأن ذلك في الدنيا، أما في الآخرة، فقد تقدَّمت الأدلة التي تثبت الرؤية في الآخرة، ***وقد أجاب ابن أبي العز r في "شرحه للطحاوية" عن هذه الشبهة فقال:*** "إن { لَن } لو قيدت بالتأبيد، فلا تدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا اطلقت؟ ولهذا نظائر في القرآن، **قال تعالى:** { وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً } [البقرة:٩٥] مع قوله: { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ } [الزخرف:٧٧]؛ ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق؛ لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك **في قوله تعالى:** { فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي } [يوسف:٨٠]، فثبت أن { لَن } لا تقتضي النفي المؤبد .

قال الشيخ جمال الدين بن مالك r :

ومَن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا

- وقد استدل ابن القيم r بالآية نفسها { رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي } على الرؤية فقال:

"وبيان الدلالة من هذه الآية من وجود عديدة: **أحدها**: أنه لا يُظَن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أن الله I لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالاً لأنكره عليه، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه - تبارك وتعالى - أن يريه كيف يحيي الموتي، لم ينكر عليه، ولما سأل عيسي ابن مريم ربه إنزال المائدة من السماء، لم ينكر سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه؛ أنكر عليه سؤاله، **وقال:**

{ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ { ٤٦ } قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ } [هود:٤٦-٤٧]

الوجه الثالث: ***أنه أجابه بقوله:*** { لَن تَرَانِي } ولم يقل: "**إني لا أُرَى، ولا إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي**" والفرق بين الجوابين ظاهر لمَن تأمله.

وهذا يدل على أنه I يُرَى، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى.

ويوضحه الوجه الرابع:وهو **قوله تعالى:** { وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي } [الأعراف:١٤٣] فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته، لا يثبت لتجلِّيه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: **قوله تعالى:** { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } [الأعراف:١٤٣] فإذا جاز أن يتجلَّى الله تعالى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلَّى لرسوله وأوليائه في دار كرامته، ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السادس: أن الله كلَّم موسى وناداه وناجاه، ومَن جاز عليه التَّكَلُّم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة؛ فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

اهـ بتصرف (راجع شرح الطحاوية:٢٠٤-٢١٠)

- قال ابن القيم r في كتابة "حادي الأرواح": "وبالجملة فتأمَّل أحاديث الرؤية؛ تجد في أكثرها ذكر التكليم، قال البخاري في "صحيحه" باب "كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجَنَّة: وساق فيه عدة أحاديث، فأفضل نعيم أهل الجَنَّة رؤية وجهه - تبارك وتعالى - تكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجَنَّة وأعلى نعيمها وأفضله، الذي ما طابت لأهلها إلا به - والله المستعان".

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منَّا بقبول حسن، كما أسأله أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ مَن لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك